

## أنظمة دلالية غير لفظية ودورها في تشكيل نظام لغوي للتواصل في القرآن الكريم

د.ذ. نبال نبيل نزال\*

تاريخ قبول البحث: ٢٠١١/٩/١١م

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٠/٩/٢٣م

### ملخص

يستند هدف البحث على استنتاج أنظمة دلالية تساند اللغة المنطوقة في عمليات التواصل، مستشرفاً مادته على أي الذكر الحكيم، فانتظمت في خمسة أقسام، وهي النظام الدلالي العضوي، والنظام الدلالي الأدائي، والنظام الدلالي الأدائي، والنظام الدلالي الحواسي، والنظام الدلالي الباراسيكولوجي. يتكأ كل قسم منها على دلالات الطريقة التي تؤديها لغته؛ إما بالعنصر الجسدي، أو بهيئة الأعضاء، أو بالحواس، أو بالأدوات المساندة التي تقوم مقام الإفصاح، مضافاً إليها النظام الباراسيكولوجي الذي يعمد إلى لغة خارجة عن الإرادة الإنسانية.

### Abstract

The research aims to find out semantic systems that support the articulated language in communication processes, based on the verses of the Holy Quran.

It falls into five sections: The Organic System, The Functional system, The Instrumental System, the Sensational System, and The Para Psychological System. Each section is based on the semantics of the language used in it, either through the physical organ, the manner of the organs, the senses or the assisting instruments that take the place of disclosure, in addition to the Para psychological system which employs a language outside the human will.

### توطئة:

وقد فطن اللغويون إلى أن عملية التواصل لا ترتكز على اللغة المنطوقة التي تشترك فيها أعضاء النطق فحسب، بل تتوسد المصاحبات كذلك؛ كنعغات صوت المتكلم، وحركات جسمه، وهيئته، ولون بشرته؛ لتؤدي رسالة في التواصل بين المرسل والمرسل إليه، شريطة التفاهم بين الطرفين، وإلا لكانت الرسالة كمن يعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء. ففي البيان (للجاحظ) يرى أن وسائل التواصل وأصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ تكمن في خمس، وهي: اللفظ، والإشارة، والعقد، فالخط، ثم الحال<sup>(٤)</sup>. وجاء عن (ابن جني) قوله: «أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب صاحبه وينعم تصويره له في نفسه استعطف ليقبل عليه فيقول له: يا فلان، أين أنت؟ أرني وجهك. أقبل عليّ أحدثك. فلو كان استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين مجزئاً عنه لما تكلف القائل، ولا تكلف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه، وعلى ذلك قال:

إذا كانت اللغة نظاماً من العلامات يعبر عن الأفكار كما يقول دي سوسير<sup>(١)</sup>، أو ضرباً من السلوك كما يرى بلومفيلد<sup>(٢)</sup>، فهي ليست النظام الوحيد الذي يستعمله الإنسان في التواصل مع غيره، فثمة أنظمة وسلوكيات وآليات للتواصل غير لفظية<sup>(٣)</sup>، والتعبيرات الجسمية التي تتوب عنه بحركات الأعضاء، أو الهيئات الجسمية، أو التمثيل الصامت الذي يسمى (المائم)، أو الكتابة. وهناك الإشارات اليدوية في لغة الصم والبكم، وطريقة القراءة بلمس الحروف البارزة المعروفة بلغة بريل للمكفوفين، وثمة (النوتات الموسيقية) لغة الموسيقين، والألوان والريشات لغة الفنانين، والإشارات الضوئية وشواخص السير لغة السائقين... وغيرها التي تعدّ قسيمة اللفظ والكلام في عمليات التواصل الفردية والجماعية.

\* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الزيتونة.

العين تبدي الذي في نفس صاحبها

من العداوة أو ودّ إذا كانا

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه، وجعلها دليلاً على ما في النفوس، وعلى ذلك قالوا ربّ إشارة أبلغ من عبارة»<sup>(٥)</sup>.

وعلى هديهما أورد (ابن قتيبة) في كتابه (العلم والبيان) وسائل غير لفظية تمكّن من تبليغ المقاصد، مثل: «الاستدلال بالعين، والإشارة والنّصبة»<sup>(٦)</sup>. نحو: معلّفة الحبّ والبغض من خلال حركة العين، واستدلّ بقول الأعرابي إن كاتمونا القلي نمّت عيونهم والعيّن تُظهر ما في القلب أو تصف «<sup>(٧)</sup>.

وعقد (ابن قيم الجوزية) باباً أسماه (في علامات المحبة وشواهداها) يذكر فيه علامات المحبّ، ويغوص في أعماق النفس يحلّها، ويكشف خفاياها، «...ومنها البهت والروعة التي تحصل عند مواجهة الحبيب، أو عند سماع ذكره، ولاسيما إذا رآه فجأة أو طلع بغتة. كما يقول الشاعر:

فما هو إلا أن أراها فجأة

فأبهت حتى ما أكاد أُجيب

فأرجع عن رأيي الذي كان أولاً

وأذكر ما عدت حين تغيب»<sup>(٨)</sup>

ويشير (التوحيددي) إلى المصاحبات اللغوية، أو الرموز والعلامات في قوله: «...أما الصورة اللفظية فهي مسموعة بالآلة التي هي الأذن، فإن كانت عجماء فلها حكم، وإن كانت ناطقة فلها حكم»<sup>(٩)</sup>.

ويرى (الغزالي) وهو من علماء الأصول بأن بيان الشيء قد يكون بعبارات وُضعت بالاصطلاح، فهي بيان في حق من تقدمت معرفته بوجه المواضع. وقد يكون بالفعل والإشارة والرمز. إذ الكل دليل ومبين، ولكن صار في عرف المتكلمين مخصوصاً بالدلالة بالقول. فيقال: له بيان حسن، أي كلام حسن، شيق الدلالة على المقاصد»<sup>(١٠)</sup>. ويقسم العلامات غير اللفظية إلى قسيمين، أولهما علامات غير لفظية، لا توجد إلا بمصاحبة اللغة المنطوقة في قوله: «إن قصد

الاستغراق يعلم بعلم ضروري، يحصل عند قرائن أحوال ورموز وإشارات وحركات المتكلم، وتغيرات في وجهه، وأمور معلومة من عاداته ومقاصده. وقرائن مختلفة لا يمكن حصرها في جنس، ولا ضبطها في وصف، بل هي كالقرائن التي يعلم منها خجل الخلي، ووجل الوجل، وجبن الجبان. ويعلم قصد المتكلم إذا قال السلام عليكم، أنه يريد التحية، أو الاستهزاء أو اللهو»<sup>(١١)</sup>. وثانيهما أن ثمة علامات مستقلة عن اللفظ تكمن في قوله: «فمن سلم أن حركة المتكلم، وأخلاقه، وعاداته، وأفعاله، وتغير لونه، وتقطّب وجهه وجبينه، وحركة رأسه، وتقليب عينيه تابع اللفظ؟ بل هذه أدلة مستقلة يفيد اقتران جملة منها علوماً ضرورية»<sup>(١٢)</sup>.

وقد أسّس (ابن تيمية) ما أسماه بقواعد جامعة عظيمة المنفعة عند حديثه عن العقود، إذ بين أن الأصل في العقود لا تصحّ إلا بالصيغة، ولكنه أشار إلى بعض المذاهب التي تعتدّ بالأنظمة العلاماتية في العقود، قائلاً: «هؤلاء يقيمون الإشارة مقام العبارة عند العجز عنها، كما في إشارة الأخرس، ويقيمون الكتابة مقام العبارة عند الحاجة»<sup>(١٣)</sup>. وأضاف بأن العقود قد تصحّ بالأفعال فيما كثر عقده بالأفعال، كالوقف، أو سبل أرضاً للدفن فيها، وبعض أنواع الإجازة، كخياط يعمل بالأجرة، وكالهدية... فما زال الناس يتعاقدون في مثل هذه الأشياء بلا لفظ، بل الفعل الدال على المقصود»<sup>(١٤)</sup>.

وجعل (الشيرازي) وسائل البيان سبع في قوله: «ويقع البيان بالقول، ومفهوم القول، والفعل، والإقرار، والإشارة، والكتابة، والقياس»<sup>(١٥)</sup>.

ويرى (طاش كبري زاده) أن «السلف نكروا أقسام الدلالات الطبيعية والوضعية، منها لفظية وغير لفظية. ومثّلوا للطبيعية بكلمة (ح) الدالة على السعال، وهو وجع الصدر. ومثّلوا بالطبيعية غير اللفظية بحركة النبض، ومثّلوا بالوضعية اللفظية بالألفاظ المستعملة، ومثّلوا للوضعية غير اللفظية بالخطوط والعقود والإشارات، وأرادوا بالخطوط نقوش الكتابة، فإنها ليست

ولفظة، وموضوعه بإزاء الألفاظ، وأرادوا بالإشارات الإشارة باليد، والشفة والحاجبين وأمثالها»<sup>(١٦)</sup>.

ويرى (اللباد) من المحدثين بأنه «يندر أن نجد شخصاً يتكلم بدون أن تصاحب كلماته تعبيرات حركية تؤديها أعضاء الجسم، لكننا قد نرى الشخص وهو يعبر بجسمه دون أن ينطق بكلمة واحدة، بلا جهد، نستطيع أن نفهم ما تعبر عنه أوضاع وحركات وإشارات جسم الإنسان»<sup>(١٧)</sup>.

ويزهد (كريم زكي) بأن «التضافر بين المكونات التي تشكل عملية التواصل بين أفراد المجتمع تكشف لنا عن بنائية السلوك اللغوي كما تحدده الدراسات اللغوية الحديثة. ويرى بأن هناك وجود أنماط سلوكية غير لغوية تصاحب السلوك اللغوي. نحو: التعبير الجسمي، والتعبير الصوتي الذي يتمثل في نغمات الصوت التي تساهم في تحديد دلالة للكلمات وإيقاع النطق وسرعته، ودرجة الصوت في ارتفاعه وانخفاضه. والهيئة الجسمية التي يكون عليها المتخاطبون. والتجاور أو التقارب؛ أي المسافة المتعارف عليها بين المتكلم والمستمع. والتلامس الذي يحدث بين المتخاطبين»<sup>(١٨)</sup>.

لم يقتصر الأمر على لغويي العرب وفقهائها وعلماء الأصول؛ بل اهتم اللغويون الغربيون بتلك الأنظمة كذلك، وأدركوا طبيعتها في عملية التواصل، وربما يعود الفضل عندهم إلى العالم اللغوي (دي سوسير) الذي عرف اللغة بأنها نظام من العلامات يعبر عن أفكار<sup>(١٩)</sup>، واعتبرها بهذا المفهوم ضمن مجموعة أخرى من الأنظمة الاجتماعية التي يدرسها علم العلامات (Semiology) الذي يدرس حياة العلامات داخل المجتمع، كما عدّ علم اللغة جزءاً من هذا العلم الذي يهتم بالأنظمة اللفظية وغير اللفظية.

وأيضاً من خلال مجموعة من الأفعال المتعددة، كأن يتم التقاهم بالابتسام أو التجهم أو العبوس، أو عن طريق الإشارات، أو بحركة الرأس، أو المصاحبة باليد»<sup>(٢١)</sup>.  
أما أشكال اللغة التواصلية غير اللفظية فقد تمثلت في أكثر من نظام؛ حيث قدمت (بيرجون)<sup>(٢٢)</sup> سبعة أنواع من الأنظمة غير اللفظية، وهي: الحركية؛ أنشطة، والتقارب؛ استخدام المكان، والمظهر البدني، واستخدام اللمس، والصوتية، والتوقيت، واستعمال الأشياء والمواد. ويقسم (Knapp)<sup>(٢٣)</sup> الأشكال غير اللفظية في التواصل إلى ثلاثة أقسام. أولاً لغة العلامات، وتتضمن كل أدوات الترميز التي تحل محل الكلمات، والأرقام، وعلامات الترقيم، والحركات الجسدية... والقسم الثاني يتمثل في لغة الفعل، أي كل الحركات التي لا تستعمل في شموليتها. كالإشارات، وأفعال المشي والشرب؛ لتلبية حاجة الإنسان، ولتشكيل عبارات نحو مات يفهم دلالتها. وأخيراً لغة الأشياء، مثل: الشعارات، وموضوعات الفن، والأبنية المعمارية، وجسد الإنسان وملابسه وأعطيته...

ويرى بعض اللغويين الغربيين<sup>(٢٤)</sup> بأن عملية التواصل لا تعتمد على اللغة بصفتها الأداة الرئيسة للتواصل، بل تعتمد على ما يصاحبها من نغمات صوت المتكلم، وحركاته الجسمية. لذا اهتموا بدراسة المصاحبات اللغوية؛ كالتغيم والنبر وارتفاع الصوت وانخفاضه، والإشارات الجسمية، وهيئته في الوقوف والقعود والمشي، والتغيرات التي تطرأ على البشرة، مثل: الشحوب والاصفرار والاحمرار، وارتعاش الأطراف، وتصبب العرق...

لذا؛ لم تنحصر اللغة في التواصل أو النظام اللفظي، بل إن للأنظمة غير اللفظية دلالات في تكوين تواصل لغوي، حتى عدت عند العلماء مصاحبة للكلام، أو أنظمة مستقلة في الوقت الذي لا يستطيع النظام اللفظي أن يفصح عن مفهوم الرسالة التواصلية.

لم يقتصر الأمر على لغويي العرب وفقهائها وعلماء الأصول؛ بل اهتم اللغويون الغربيون بتلك الأنظمة كذلك، وأدركوا طبيعتها في عملية التواصل، وربما يعود الفضل عندهم إلى العالم اللغوي (دي سوسير) الذي عرف اللغة بأنها نظام من العلامات يعبر عن أفكار<sup>(١٩)</sup>، واعتبرها بهذا المفهوم ضمن مجموعة أخرى من الأنظمة الاجتماعية التي يدرسها علم العلامات (Semiology) الذي يدرس حياة العلامات داخل المجتمع، كما عدّ علم اللغة جزءاً من هذا العلم الذي يهتم بالأنظمة اللفظية وغير اللفظية.

وقد ألفت بين دفتي كتاب الله الكريم أنظمة دلالية غير لفظية في عملية التواصل، تقوم مقام اللسان، وتؤدي دلالات متنوعة، انتظمت في مباحث ستة، نسب كل

ويرى الفيلسوف الإنجليزي (فرنسيس بيكون)<sup>(٢٥)</sup> بأن الإشارات نوع من الكتابة في الهواء، ولا يتخاطب الناس بالكلمات المنطوقة فحسب، إنما يتوسلون بحركات الجسم كذلك. ويقول (ميرل جون) و (وينشتاين رالف): «لأننا نحقق الاتصال فقط بالكلام المنطوق أو المكتوب،

والظالمين في الآية القائلة عنهم **﴿مُطْعِنٍ مُّقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هُوَاءً﴾** [٤٣]:

إبراهيم]. و(المهطع) لغة هو: «الذي ينظر في ذل وخشوع، أو أقبل مسرعاً خائفاً لا يكون إلا مع خوف، وفي قوله مهطعين إلى الداعي فسر بالوجهين جميعاً»<sup>(٢٨)</sup>. أما (المقنع) عند أهل اللغة فهو الذي يرفع رأسه ينظر في ذل<sup>(٢٩)</sup>. في هيئة متناقضة لحركة الرأس المهطعة والمقنعة معاً: فالهيئة الأولى تصور الإهطاع، وهو الإسراع في الإجابة والرأس منكس في ذل وخشوع، من غير أن يطرف أو يلتفت يميناً أو شمالاً، ولا يعرف مواطن أقدامه. وتصور الهيئة الثانية الإقناع، وهي هيئة الرأس المرفوع، لا للتكبر أو الخيلاء كما هو المفترض؛ إنما مرفوع أو مقنع كما وسمته اللفظة القرآنية والدلالة اللغوية؛ للزيادة من تحقير شأن هذه الهامة التي فاجأها الانغماس في الخوف والخشوع وقمة الذل والخضوع<sup>(٣٠)</sup>، وكأنّ الجزء من جنس العمل. ولتصوير الصورة على نحو أكثر إذلالاً- إذا أمعنا النظر في سياق الآية السابقة فقد تشارك مع تلك الحركتين للرأس عضوان آخران في هذا الموقف العصيب، وهما العين والفؤاد، فالعين جامدة، وإبصارها شاخصة، وطرفها لا يرتد، في حالة تدميج. أما الفؤاد فهو خالٍ ليس فيه شيء؛ لكثرة الخوف والوجل من هول الموقف<sup>(٣١)</sup>.

تنكيس الرأس: قد يلجم لسان المرء خجلاً من تقصير فعله أو ذنب أحدثه. وتلك الهيئة جلية في سياق حوار بين إبراهيم **﴿الَّذِي﴾** وقومه الذين صدّموا بتكسر أصنامهم، وادّعاء إبراهيم **﴿الَّذِي﴾** بأنّ كبيرهم من فعل ذلكم، فأمرهم بمسائلة كبير الأصنام إن كان يجيبهم، فبهتوا بهذا الأمر، **﴿ثُمَّ تَكْسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطُرُونَ﴾** [٦٥: الأنبياء]؛ «أي انقلب الأمر عليهم، ورجعوا إلى أنفسهم، وقد انتكست عقولهم، وضلت أحلامهم»<sup>(٣٢)</sup>؛

مبحث إلى الطريقة التي يؤديها، إما بالعضو، أو بهيئته، أو بالحاسة التي تصدر منه، أو بالأدوات المساندة التي تقوم مقام الإفصاح، أو بالتوقيت والمكان، مضافاً إليها النظام الباراسيكولوجي الذي يعمد إلى لغة خارجة عن الإرادة الإنسانية كالسوسة والرؤى والوحي. وهي:

**أولاً: النظام الدلالي العضوي:** إذاهزّ المرء منا رأسه، أو غمز بعينه، أو أشار بيده، أو فرك كفيه... ولنقس على ذلك كثير من الأداءات العضوية التي تصدر عن أعضاء الجسم، فإن المتلقي يفهم ما تحمله في طياتها من دلالات مقصودة، فيستجيب لها أو لا. وتتحقق هذه الأداءات وفق ثنائية: الدال لحركة العضو، والمدلول لتلك الحركة؛ إذ يتبادر للذهن المعنى المقصود من ذلك الدال. وقد يكون لحركة الأعضاء دلالات متباينة، نحو ما يؤديه اللفظ من معانٍ مختلفة، كأن تكون هزة الرأس من أعلى إلى أسفل عدة مرات دالة على التفكير بعمق، أو الإيجاب، أو الاستهزاء، أو الإعجاب... وفرك الكفين ابتهاجاً، أو اصطيداً غنيمته، أو طلباً للدفاء... وهكذا؛ لذا عدت الحركات التي تصدر عن أعضاء جسم الإنسان منفردة أو مشتركة، بمثابة نظام قائم بذاته كالنظام اللفظي. ففي الذكر الحكيم صور مرئية تتحرك بها الأعضاء<sup>(٣٥)</sup> لتؤدي دلالة ما، وتشخص معنى خاصاً لتفصح عن حالات نفسية، وكأنّ هذه وتلك كناية عن حال المتكلم أغنته عن اللفظ، فالكناية آن ذاك أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح كما جاء عن الجرجاني<sup>(٣٦)</sup>، منها:

١. الرأس: يشير باكو إلى أن الرأس يأتي على هيئات؛ فالمنحني قد يرمي إلى الفتنة أو الملاطفة. والخفيض يدل على الخجل أو الخضوع أو الاستسلام أو الضعف أو الجبن<sup>(٣٧)</sup>، فالرأس المرفوع لا يمكن أن يدل على الانكسار بعكس ما هو متعارف عليه، فلكل هيئة دلالتها. ومما جاء في الآي الكريمة:

- إهطاع الرأس وإقناعه: سيقنت لفظة (مهطعين) بصيغة اسم الفاعل من المزيد، تصف الكافرين

خجلاً من أنفسهم التي تترك تماماً أن هؤلاء لا أعينهم تفيض من الدمع مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ» [٨٣: المائدة]. ذهب المفسرون إلى أن هذه ينطقون.

٢. العين: قال الحكماء: العين باب القلب، فما كان في القلب ظهر في العين. فلغة العيون من الموضوعات التي تطرق لها علماء النفس، وأصبحوا يقرؤونها كما يقرؤون رموزاً متعارفاً عليها، أو أنظمة عالمية موروثه؛ ليعرفوا بواطن أصحابها منها. ومن ذلك ما نجده في قول محمد التكريتي في كتابه (أفاق بلا حدود): «النظر أثناء الكلام إلى جهة الأعلى للياسر؛ يعني أن الإنسان يعبر عن صور داخلية في الذاكرة، وإن كان يتكلم وعينه تزيغان لجهة اليمين للأعلى فهو ينشئ صوراً داخلية يركبها، ولم يسبق له أن رآها...» (٣٣).

٣. الوجه: توصل العلم الحديث إلى (نظام ترميز حركة الوجه) الذي يدرس أدق حركات عضلات الوجه الثلاث والأربعين للتعرف إلى صدق العواطف البشرية، ويقوم بتحليلها، بما فيها الحركات التي قد لا يكون الشخص واعياً بحدوثها. وقد أطلق على ديبول إيكمان، أستاذ في علم النفس؛ لقب قارئ الوجوه البشرية، إذ يستطيع تمييز الكاذبين من الصادقين برصد تعابير الوجه المعبرة عن المشاعر الخفية التي تظهر في أقل من ربع الثانية (٤٠). فقد صرّح قائلاً: «بأن هناك سبع عواطف لها تعابير واضحة ترتسم على الوجه: الغضب والحزن والخوف والدهشة والقرف والازدراء والسعادة» (٤١). ووردت بعض هذه المعاني في السياقات القرآنية، فضلاً عن معاني أخرى؛ لإظهار صور متباينة للوجوه، في هيئات متنوعة، وألوان متغايرة تكشف عن مكنونات النفس. نلّمحها في:

فإذا كان اتجاه حركة العين ينشئ عما في نفس صاحبها، فإن لها هيئات كذلك، فمنها القلقة المضطربة، أو المستغيثة، أو الحاقدة، وأخرى ساخرة، أو سارحة، ومنها المستفهمة، أو المحبة، وهكذا... ويطلعنا القرآن على هيئات متباينة للعين، فمنها:

العين الخائنة: لعل من أشد الوطء على النفس الخيانة، ولعل من أعجب التعابير عن العين ونظرتها نلّمح التي وسمها القرآن بأنها خائنة الأعين. يقول ابن سيده: «وخائنة الأعين ما يسارق النظر إلى ما يحل، واستشهد بالآية ﴿عَلِمَ خَائِنَةَ الْأَيْنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [١٩: غافر]، وبيّنت ثابت القائل:

وقاصرة الطّف مكفّوحة  
بِفَتْرِ الْجُفُونِ ذَوْنَ النَّظَرِ» (٣٤)

وذهب إلى ذلك المفسرون (٣٥)، والمقصود من ذي النظرة إشعار المنظور إليه بما يسوء غيرها الحاضر استهزاء به، أو إغراء به (٣٦).

العين الخاشعة الباكية: إذا رأينا أحدهم اغرورقت عيناه فإننا نستقرئ فرحها أو حزنها أو خشوعها أو خوفها...، لكن إذا أجهش بالبكاء أو ندب أو نشج فلا بد أنه تلقى نبأً أشد وطأً (٣٧)، ولنتأمل صورة تشخيصية للعين وهي تفيض دمعاً في قوله المقدس: ﴿وَلْيَبْغُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى

الوجوه المسودة المغتمة: يقول القرطبي: «العرب تقول لكل من لقي مكروهاً: قد اسود وجهه غمّاً وحزناً» (٤٢) وهذا السواد تعكسه الحالة التي تلبّست بصاحبها، وليس المراد بالسواد الذي هو ضدّ البياض، وإنما هو من باب الكناية: فإنك ترى ذاك المبشر بأنثاه عند ولادتها بحاله الممتعة غضباً وغمّاً وحزناً مسوداً وجهه (كناية عن غمّه بالبنت): ﴿إِذَا كَذِبَ

تقول: وجه باسر بين البسور: إذا تغير وأسود<sup>(٤٨)</sup>. وجاء في تفسير الجامع للقرطبي<sup>(٤٩)</sup> بأن (بسر) تعني كبح وجهه وتغير لونه، ثم ذكر فلوق بين العبس والبسر، فالعبس يظهر في الوجه بعد المحاورة، أما البسور فيظهر في الوجه قبل المحاورة.

اليد: لعل لغة اليدين تضاهي لغتي الوجه والعيون، ولا تكون في أثناء الكلام فحسب وكأنها وفق منظومة مختزنة في الذاكرة، بل تكون في بعض الأحيان لغة قائمة بذاتها، ونظاماً تعبيرياً خاصاً، نحو لغة الصم والبيكم<sup>(٥٠)</sup>، وبعض الأحاجي التي تجعل من الإشارات اليدوية لغتها<sup>(٥١)</sup>، إذ يملك الإنسان قدرة ومهارة فائقتين في استخدام يديه للتعبير عن مكونات نفسه، إما تأكيداً لقلبه، أو لمساعدة الآخر على فهمه، بل إن استعمال اليد في أثناء الكلام يساعد خلايا الذاكرة في المخ على حفظ المعلومات، واستذكارها عندما يحتاج إليها مرة ثانية.

ولم يقتصر رصد ظاهرة لغة اليدين على علماء النفس أو علماء التربية أو المهتمين بالسلوكيات الإنسانية؛ فكان لعلماء اللغة اهتمام كذلك في دورها التواصلية واستنطاق دلالاتها<sup>(٥٢)</sup>، لكثرة الإشارات التي تؤيدها اليد، حتى قال برونكو إنها تتجاوز ٧٠٠ إشارة<sup>(٥٣)</sup>.

فاليد في النظام التواصلية الدلالية لها عدة هيئات، ولكل هيئة دلالاتها في المصافحة والتوديع، والاستجداء والتفكير، والرفض والسكوت، والأمر والنهي... وغيرها. ومن هيئات اليد الدالة في السياق القرآني ما جاء في التعبيرات الدلالية الآتية:

- الغضب والغليظ: تمثل الصورة القرآنية أولئك الكفار الذين يسمعون البيّنات من الرسل فيردونها بصورة انفعالية تعكس حالتهم الراضية المستهزئة الغاضبة المتعجبة، وذلك في سلوك دلالي يرسمه السياق القرآني القائل: ﴿رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهِمُ﴾ [٩١: إبراهيم]. وقد اختلف المفسرون<sup>(٥٤)</sup> في تفسير الصورة وفقاً للضميرين؛ أيعودان على الكفار أم على الرسل، فكانت عندهم على ثلاث هيئات: الأولى إشارة الكفار للرسل

يَتَوَارَى مِّنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسُكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [٥٨، ٥٩: النحل].

- الوجوه الحزينة الكئيبة: تتمثل هذه الصورة في قوله تعالى ﴿لَهُ زُلْفَةٌ سَيِّئَةٌ وَجُوهُ السُّذِينَ﴾ [٢٧: الملوك]. قال ابن عباس: أي أسودت وعلّوها الكآبة والقترة، وقال الزجاج: تبين فيها السوء، وأصل السوء القبح<sup>(٥٣)</sup>. ويشرحها المراغي بقوله ولما رأوا العذاب الموعود قريباً ساءهم ذلك، وعلت وجوههم الكآبة والخسران، وغشيتها القترة والسواد، إذ جاءهم من أمر الله ما لم يكونوا يحتسبون<sup>(٥٤)</sup>. ومثلها في قوله ﴿كَلَّا﴾

الْآخِرَةَ لَيْسُوا أَوْا وَجُوهَهُمْ﴾ [٧: الإسراء]، إذ يعزو الفخر الرازي<sup>(٥٥)</sup> الإساءة والحزن للوجوه؛ لأن آثار الأعراض النفسية الحاصلة في القلب إنما تظهر على الوجه، فإن حصل الفرح في القلب ظهرت النضوة والإشراق والإسفار في الوجه، وإن حصل الحزن والخوف في القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد في الوجه.

ومن الهيئات الدلالية التي تقترن بالوجه بدون لفظ ذكره ما ورد في السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿

﴿١: عبس﴾، والعبس في اللغة تقطيب ما بين عينيه<sup>(٥٦)</sup>، فالآية عتاب من الله لنبيه ﷺ في إعراضه وتولييه عن عبدالله بن أم مكتوم عندما بقي الرسول يدعو سادات قريش، وأعرض عن الأعمى الذي أتى ليستبين منه أمر الدين الجديد. ومثله في قوله عز شأنه عن الوليد بن المغيرة: ﴿ \* ﴾ [٢١،

٢٢: المدثر]؛ أي قطب بين عينيه في وجوه المؤمنين؛ وذلك أنه لما حمل قريشاً على ما حملهم عليه من القول في محمد ﷺ بأنه ساحر، مرّ على جماعة من المسلمين، فدعوه إلى الإسلام، فعبس في وجوههم.. قيل: عبس وبسر على النبي ﷺ حين دعاه<sup>(٥٧)</sup>. والبسر في اللغة أي النظر بكراهة شديدة، ومنه جاء قوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ﴾ [٢٤: القيامة]؛ أي مقطبة قد أيقنت أن العذاب نازل بها. وبسر الرجل وجهه بسوراً؛ أي كبح، والعرب

أنامله من شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذ أمر ما؛ فضلاً عن التفوه.

: إن حركة الكشف عن الساق لها أكثر من دلالة، مثل: الهرب من شدة، أو من ساح الوغى، أو الحذر والتوجس من أمر ما، نحو رفع المرء ثوبه لاجتياز مكان فيه ماء، أو شوك، أو نجاسة وغيرها. ومما ذكر في القرآن هيئة ملكة سبأ، وهي تكشف عن ساقها عندما

﴿بِئْسَ

عَنْ سَاقِيهَا﴾ [٤٤: النمل]؛ لئلا يتلأ، اعتقاداً منها أنها ستدخل الصرح الممرد من قوارير، عندما حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة؛ أي بحرأ، لتخوضه إلى سليمان عليه السلام (٥٩).

ثانياً: يقوم النظام الأدائي بوصف هيئات الإنسان وتصرفاته التي يصورها في مشاهد ترغيبية وترهيبية، إغوائية وغضبية، وغيرها... تقوم بها حركات أعضاء الجسم وفقاً للحالة النفسية. فلو راقبنا أحدهم على سبيل المثال وهو يقف مكتوف اليدين، يحدق بنظرات حادة، أو يجلس واضعاً رجلاً فوق الأخرى وهو يحركها باستمرار، أو يدق بأظافره بقوة وبحركات متتالية سريعة... سنجد أن كل أداء قد تحول إلى رسالة مبطنه، مردها الصورة النفسية التي تلعب في رسم كل وضعية، فهي حمالة لدلالات كثيرة، نحو: الغضب أو الاحتقار أو الملل... والأداءات الدلالية في الذكر الحكيم كثيرة، نذكر منها:

- في حادثة إغواء امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عندما كان فتى، وقد أصاب حبها له شغاف قلبها، وأرادته لذاتها، فهيات الأسباب لتتمكن من إغوائه، تستعين بها على ما خالجها من شعور، إذ قامت بتغليق أبواب جناحها. توظفها جميعاً نيابة عن الكلام، ليتنبه المتلقي إلى رسالة خاصة به وله. ويتفنن التعبير القرآني برسم الهيئة التي كانا عليها وقتئذٍ بعبارة: ﴿يوسف﴾ [٢٤: يوسف]، ولنا أن نطلق العنان في هذا الهم، إلا أن

بوضع اليد على الفم؛ لیسکت الرسل ويقطعوا كلامهم؛ تكديماً لهم وصداهم عما جاؤوا به. والثانية رد الكفار أيديهم في أفواههم ليعضوها غيظاً مما جاء به رسلهم تشابهها صورة عض الأنامل في قوله: ﴿لَقَوْلِهِمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمُ الْأَتْمَالِ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [١١٩: آل عمران]. أما الثالثة فإنها تومئ إلى الحيرة أو العجب؛ حتى ردوا أيديهم في أفواههم متأملين.

- البخل والإسراف: يلمح سيد قطب إلى تصوير مشهد المقتر والمسرف من الناس في قوله تعالى: ﴿تَجْعَلُ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطُهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [٢٩: الإسراء] (٥٥) بقوله بأن التعبير هنا يجري على طريقة التصوير، فيرسم البخل يداً مغلولة إلى العنق، لا يقدر صاحبها على مدها، كأنها مربوطة في عنقه لا تستطيع أن تعطي شيئاً. وترسم الآية الإسراف يداً مبسوطة كل البسط بحيث لا تمسك شيئاً، ثم يرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قعدة كقعدة المعلوم المحسور. ويستشهد قطب برأي اللغة (٥٦) بأن الحسير هي الدابة التي تعجز عن السير فتقف ضعفاً وعجزاً، فكذلك البخيل جسرة بخله فيقف، وكذلك المسرف ينتهي به سرفه إلى وقفة الحسير ملوماً في الحاليتين (٥٧).

: وهي جزء من اليد أو الكف، فقد جاءت كلمة أصابع للدلالة على الخوف والفرع والرعب في جعل أصابع اليد الواحدة في الأذن هرباً من سماع ما يخيف النفس. ويرى الزمخشري (٥٨) أن ذكر الأصابع فيه من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل التي هي رؤوسها، فالأصل وضع أنملة واحدة في الأذن، ولكن لزيادة المشهد بالاضطراب والهول والرعب والفرع والحيرة؛ كانت تلك الصورة: ﴿يَعْلُونَ

﴿١٩: البقرة﴾. بينما نرى الأنامل في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ الْأَتْمَالِ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [١١٩: آل عمران] تصور الحالة النفسية التي تعترى المغتاط حتى تدفعه إلى عض

- المفسرين<sup>(١٠)</sup> رأوا أن همّ الفعل كان من المرأة، وهمّ النفس كان من النبي. ثم وصفت الآية هيئات ردة الفعل في الهرب، وللحاق، والقَد: ﴿ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾ [يوسف: ٢٥]. وقد فرّق أصحاب الأمر بين القَد من الدبر لدلالة المرادة، والقَد من القَبْل في الدفاع عن النفس حين الاعتداء<sup>(١١)</sup>.
- أداء اللامبالاة: ﴿ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكُتَابَ أَبَ اللَّهِ وَرَأَىٰ ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠١].

( ) : وهو نظام تواصلية

يتوسّد حواس الإنسان الخمسة؛ البصر والسمع والشم والتذوق واللمس، وقد ينضاف إليها الحاسة السادسة وهي الفراسة، يقول البيضاوي: «تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء، فتدركونها، ثم تنتبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الإحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية، وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها»<sup>(١٦)</sup>. ويعدّ هذا النظام الحواسي نتيجة النظام العضوي الذي هو ألتها، وقد أشرنا إليه من قبل، إلا أن ذلك يتكئ في التواصل على هيئة العضو أو حركاته الدالة، أما ذا فيستمدّ تواصله من الحاسة التي يؤدّيها العضو، وفق تقنية معينة ونظام محدد، كالإبصار من العين، والسمع من الأذن ... ويرى كشاش أن الحواس خارجية وداخلية من حيث كفيّتها بالإحساس، فالأولى يتم فيها الشعور بالمحسوس عن طريق الاحتكاك المباشر به كاللمس، أو بدونه كالشم. أما القسم الآخر فهي الحواس الداخلية أو الخفية، نحو حاسة الشعور بالرضا، وحاسة الحاجة إلى الطعام، وغيرها من الحواس التي لما تزل موضع بحث وتنقيب؛ لإثبات أعضائها، ودراسة ظواهرها وإدراكاتها<sup>(١٧)</sup>. وبهذه وتلك تكمن عمليات للتواصل، تكاد تكون مكملّة للكلام، أو تتوب عنها، إذ يتجلى التعبير برائحة الحبيب حيناً، وبسماح مناغاة الطفل أو تقبيله حيناً آخر، وبالملموسات الناعمة أو الخشنة حيناً ثالثاً، وهكذا... وللقرآن الكريم سياقاته البليغة في النظام الحواسي، إضافة إلى النظام العضوي، وللتفريق بينهما

للتعريف: يختلف من شخص لآخر، فمنهم من تحمّر وجنتاه وتحتظ عيناه، ومنهم من يصرخ، ومنهم من يشتم وينقوه بألفاظ لا تكاد تبين، وهكذا... أما موسى ﷺ، وكان معروفاً عنه الغضب السريع ومزاجه العصبي؛ فقد<sup>(١٢)</sup> ﴿ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُوهُ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٠]. إذ ردّ عليه أخوه هارون ﷺ بعد أن شدّ موسى شعر رأسه، وأمسك بلحيته: ﴿ لَيْنٌ أُمَّ لَا تَأْخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا ﴾ [٩٤: طه]، وذلك عندما عرف موسى أن قومه قد عبدوا العجل، وأن أخاه لم يستطع نهيمهم.

: إذ يتمثل في مشهد أولئك المستنفرين

من تذكيرهم بربهم وبمصيرهم: ﴿

التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ \* \* \*

﴿ ٤٩ ٥١: المدثر، وكان أولئك الأدميين حمر الوحش الفارّة في كل اتجاه حين تسمع زئير الأسود، فما أفسى الحالة النفسية وقت خوفها واهلها! يرى قطب أن النفوس إذا تأملت الهيئة الأدمية، وتشبّيها بالهيئة الحيوانية فإنّ الخجل مصيرها، فيروح النافرون المعرضون يتوارون، ويظلمون من الإعراض والنفار، مخافة هذا التصوير الحي العنيف<sup>(١٣)</sup>. وهنا إشارة قاسية جلية مذمّة للنافرين عن الذكر، وتهجيناً لحالهم، كما تصرّح عبارة الزمخشري<sup>(١٤)</sup>.

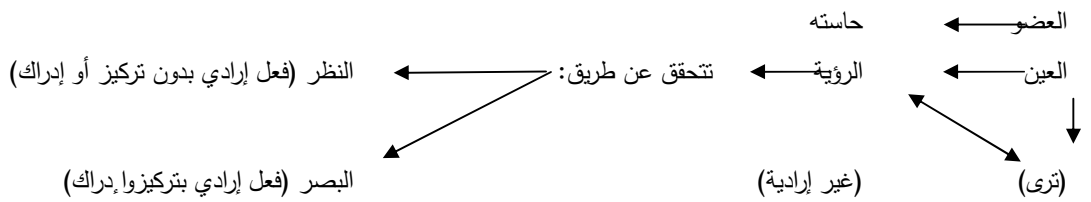
سفاهة العبادة التي كانت عليها قريش في الآية الكريمة: ﴿ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصَدِيَةٌ ﴾ [الأنفال: ٣٥].



: فالعين آلة الحس البصري<sup>(٧٠)</sup> :  
وظيفتها الأساسية الرؤية، وهي عملية لا إرادية، تتحقق  
عن طريق النظر أو الإبصار، و«البصر اسم للرؤية»<sup>(٧١)</sup>،  
ويتم النظر بطريقة عشوائية أو ربما منتظمة، لكن بدون  
أن يكون ثمة إدراك أو تمعن في أمر ما؛ لذا كان  
التقريب بين لفظتي النظر والبصر، ودليل ذلك قوله  
تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾  
[١٩٨:الأعراف]، وعلى الرغم من أنها ألفاظ مترادفة إلا أن  
علماء اللغة وقفوا على معاني تلك المترادفات نحو ما  
فعله الثعالبي وابن سيده<sup>(٧٢)</sup>. ونجد السياقات القرآنية  
تشير إلى التباين في الدلالات بين لفظتي النظر والرؤية  
كذلك، تمثلها الآيات: ﴿

تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾ [٦٩:البقرة]، و﴿إِذَا

﴿١٢٧:التوبة﴾. و«النظر هو الرؤية  
الخاطفة، أو الرؤية التي ليس فيها تعميق ولا تحليل ومن  
غير تركيز أو إدراك. أما البصر فهو الرؤية بالعين مع  
التركيز والفحص، لذا يتم الإيصال إلى الدماغ عن  
طريق العصب البصري، أما النظر فلا»<sup>(٧٣)</sup>. وبين النظر  
والرؤية فارق جوهري هو أن النظر فعل إرادي، والرؤية فعل  
غير إردي. يمكن إيجاز الفروق بالرسم الآتي:



كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [١٢٤:١٢٥، طه]. أما الغشاوة فمثلها في  
الآية: ﴿غَشَاوَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ﴾ [٩:يس]. والغشاء  
لغة هو الغطاء<sup>(٧٦)</sup>، ونلمس التصوير البياني للعيون  
المفتوحة، لكن أبصارها مغطاة لا ترى، وكأن حجاباً  
أسدل عليها فما عادت تؤدي وظيفتها المطلوبة.  
ومما يترجم في عملية التواصل البصري وأثره  
المقولة المشهورة: (نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد  
فلقاء). أما ما جاء في الذكر الحكيم فيتجلى في:

نسوق مثالاً على العضو ثم حاسته. مثلاً جاءت في الآية  
الكريمة كلمة العين ﴿وَالْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ  
إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْ  
[١٩:الأحزاب]، تصور لنا العين الجبانة الخائفة، وقد  
اضطربت في حركتها وهي تدور في كل صوب وحذب،  
كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت، فلا تحدد  
اتجاهاً. وكيف تستقر وقد وقعت بين جنبي الجبن والخوف؛  
حذراً أن يأتيها القتل من كل جهة! وما دوران العين وقتها  
إلا لذهاب العقل<sup>(٧٨)</sup>. إذن؛ فالسياق يقتضي أن يصور  
العضو لا ما يصدر عنه، لذا كانت عملية الإبصار هنا  
ثانوية. أما التعبير بحاسة العين كالإبصار فيقتضيه  
السياق في قوله تعالى: ﴿

وَإِذْ ﴿١٠:الأحزاب﴾؛ «أي حين مالت  
الأبصار عن سennها، وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة  
ودهشة، فلم تلتفت إلا إلى عدوها؛ لوقوعها في شدة  
الفرح»<sup>(٧٩)</sup>. ففي حالة الإبصار وقع الإحساس بهول  
الموقف، وبشدة الخطب، وكأن العين جمدت، لانشغال  
بصرها فيما هو أفزع؛ لذا زاغ البصر، فما عاد يحس إلا  
بما يهم النفس في ذلك الوقت، فاختيار إبصار العين ثمة  
أجدي من اختيار ذاتها.

ومن الملاحظ أن التواصل البصري قد يفقد  
وظيفته بالإصابة بالعمى والغشاوة والشخص<sup>(٧٤)</sup>  
والطموس<sup>(٧٥)</sup>؛ فمن أصابهم العمى أولئك الضالون  
المكذبون بآيات ربهم ولقائه، عمى بصر وبصيرة، فما  
عادوا يرون بأنظارهم وبقلوبهم، فقبل عنهم: ﴿  
يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصِرُونَ﴾ [٤٣:٤٣]:  
يونس]. فكان الجزء من جنس العمل: ﴿وَنَحْشُرُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ﴾ \*

جوهراً معانيها؛ لذا نلاحظ بعض التعبيرات القرآنية تُذَكِّرُ مَنْ لا يعي ما يسمعه: ﴿تَكُونُوا كَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١]، و ﴿٢١٢﴾ [الشعراء].

فالسَّمْعُ عملية طبيعية للأذن تستقبل الأصوات التي يمكن لها أن تسمعها، فمنها ما هو ضوضاء فحسب، ومنها ما يباشر العقل والقلب معاً، أي ثمة إجابة أو ردة فعل للمتلقي، سيما الرسالة التي تهمة، فإذا كان المستمع مؤمناً بقضية ما فإن سماعه يستجيب لها، وقد وصفته الآيات بالسامع الطائع أو الخاشع، ومثاله في قوله تعالى: ﴿٢٨٥﴾ [البقرة]؛ لذا كان الأثر والتأثر، عكس أولئك الذين ﴿٩٢﴾ [البقرة].

ثم تسوق التعبيرات القرآنية لغة تواصل سماعية أخرى نعتتها بالاستماعية، أي ثمة فرق بين من يسمع ومن يستمع، فالسمع كما أشرنا عملية طبيعية عفوية لمن يملك أذناً غير صماء، ولا يحتاج السامع إلى التركيز والتمعن في المسموع، فالأذن تستقبل الذبذبات الصوتية بدون إعارتها انتباهاً مقصوداً، أما الاستماع فيحتاج المستمع إلى جهد مبذول، وحضور ذهن، وتفكير، وإدراك ما يستمع له، ليتم عملية التواصل تجاه الرسالة المستقبلية. وتسترد السياقات القرآنية مواضع لعملية الاستماع كون الرسالة في غاية الأهمية، في:

﴿٢٠٤﴾ [الأعراف] فالاستماع والانصات فعلان دالان على احترام وتعظيم، فكانت هذه الاستجابة لعملية الاستماع والإصغاء. في المقابل تعرض الآيات الصورة المناقضة لأولئك المؤمنين: ﴿٣١﴾ [الأنفال]، فهي هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴿٣١﴾ [الأنفال]، فهي تعكس استجابة المعرضين عن هدي القرآن، وصددهم عن الذكر الحكيم.

الإعراض عن سماع اللغو ترفعاً في الآية الشريفة: ﴿١٠٤﴾ [سورة النور]

ردة فعل موسى عليه السلام من أفعال الرجل الصالح أثناء مصاحبته له، وذلك عندما أمره الصالح بمراقبته فحسب بدون أن يسأله عن شيء، حتى يحدث منه ذكراً. فخرق السفينة، ثم قتل الغلام، ثم تسوية الجدار؛ لذا لم يستطع موسى عليه السلام في كل حادثة أن يكتفي بالتواصل البصري، فكان ينكر ويتعجب ويطلب في أقواله المتمثلة في الآيات الحكيمة: ﴿٧٠﴾ [الكهف]،

﴿٧٠﴾ [الكهف]، ﴿٧٧﴾ [الكهف].

النظر يؤدي لإصدار حكم ما، وذلك في مثل الحكم على براءة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿٢٨﴾ [يوسف]، ونحوه عندما أشارت أصابع الاتهام إلى مريم حين جاءت بعيسى عليه السلام وهي عذراء، وكانت من أهل الصلاح: ﴿٢٨﴾ [يوسف]: يا مريم لقد جئت شيئا فريا\* يا أخت بغيًا ﴿٢٨﴾ [يوسف].

النظر يؤدي إلى الإنبهار والإكبار: ﴿٣١﴾ [يوسف] فَمَا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْتَ أَيْدِيَهُمْ وَقُلْتَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا لَكَّ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ [يوسف].

النفور عند رؤية بعضهم، نحو ما ذكره رب العزة من رؤية محمد ﷺ للأعمى: ﴿٢٠٤﴾ [الأعراف].

الثانية: لا تقل لغة السمع عن أهمية لغة البصر، فقد بات من المعروف أن المستمع الجيد مجيب جيد، لذا ضُرب مثل في عكسه، فقيل: «أساء سمعاً فأساء إجابة»<sup>(٧٧)</sup>، ومنا من يستمع إلى لغة غير معرفة عنده في جهازه الدماغية، فيراها أصواتاً مبهتة ولا يستطيع التواصل مع من يتكلم بها، فكان شرط التواصل السمعي والاستماعي تلقّي الأصوات المستقبلية وفق ضوابط تحكمها اللغة، ثم إدراك مضمون رسالتها، وفهم

وَأَكْمَ أَعْمَالِكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ [قصص].

- ما فعلته زوجة عزيز مصر بنساء المدينة، لما تناهى إلى مسامعها ما يقلنه عنها: ﴿

أرسلت إليهن  
منهن سكيناً وقالت أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه  
وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا  
لك كريم\* فذلكن الذي لمتنني فيه و  
﴿[٣١: يوسف]؛ فكان من

أمرهن ما كان من أمرها في المرادة.

ومن وسائل التواصل السمعي تلك الأصوات التي تعبر بدلالاتها عما في النفس، يسميها ابن سينا بالآثار، يقول: «ما يخرج بالصوت يدل على ما في النفس، وهي التي تسمى آثاراً. والتي في النفس تدل على الأمور، وهي التي تسمى معاني، أي مقاصد النفس»<sup>(٧٨)</sup>، أو ما يسميها بعض المحدثين القرائن الصوتية، أو الإشارات الصوتية غير اللفظية<sup>(٧٩)</sup> نحو أسماء الأصوات، ككلمة (ف) بمعنى أتضجر: ﴿

﴿٦٧: الأنبياء﴾ وأصوات الضحك والبكاء، والصراخ عند الوقوع في الكرب أو الصيحة عند الفزع والمصيبة، أو التغميم وللحن في القول، وغيرها... تتجلى في السياقات الآتية:

- ﴿جاءهم بآياتنا إذا هم منهن يصدحون﴾ [٤٧]:  
الزخرف؛ استهزاء.

- ﴿وهم يصدّطرون فيها﴾ [٣٧: فاطر]؛ تعبيراً عن الألم العظيم.

- ﴿[١٠٨: طه]؛ لعظمة الله.

وَأَوْ نَشَاءُ لَأَرْيَنَّهُمْ قَلْعَهُمْ فَنَهُمْ بِسَمَاهُمْ  
وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾  
[محمد]؛ يعرف المنافق والكاذب من لهجته، ونبرة صوته؛ لاتحرف منطقهم، بالإضافة إلى سيماهم التي تعرف.

: كيف يمكن التواصل مع الأجسام

الخرس إلا بالاعتماد على اللمس، إذ يلجأ إليها من نزلت به آفة أجبرته على الحسّ، أو توسّد إلى نقل أفكاره، وتبليغ حاجاته، نحو ما يفعله فاقد البصر في التواصل مع مجتمعه، وما نفعله عندما نريد أن نميز بين الناعم والخشن، والظري واليابس، والبارد والساخن، وقياس درجة حرارة أطفالنا... «فهي لغة لا تقل شأنًا عن المقروء من على سطح ميزان الحرارة، أو ما يكتب على عبارات صناعية في ثوب قماش، أو على جانب ألواح الخشب، كلاهما لغة ولكن بأبجديات مختلفة، إحداها يفرضها الطبع، وأخرى يقدم أصولها الوضع»<sup>(٨٠)</sup>.

وفي تضاعف أي القرآن مفردات ترجمت التواصل بالنظام للمس يمسّ ويمسّ وشعر، وإن كانت جميعها تؤدي المعنى التواصل للحاسة ذاتها، لكن ثمة اختلاف طفيف بين تلك المترادفات، يمكن إيجازه في الآتي:

المس واللمس: جاء عن الراغب الأصفهاني أنه قال المسّ اللمس، لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء، والمسّ يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس، ويقال في كل ما ينال الإنسان من أذى<sup>(٨١)</sup>، وكأنه يشير بالإدراك إلى الشعور الداخلي بعد اللمس. وجاء عن ابن الأعرابي في اللسان أنه قال: «اللمس قد يكون مسّ الشيء بالشيء، ويكون معرفة الشيء، وإن لم يكن تمسّ لجوهر على جوهر، والملاسة أكثر ما جاءت من اثنين»<sup>(٨٢)</sup> واللمسّ اللمس باليد<sup>(٨٣)</sup>. يبدو من العبارات أنه ليس ثمّ فرق بينهما، لكن على ما يبدو أن اللمس هي حاسة اليد، من خلالها يمكن الإبانة عن نوعية الأسطح كالناعم والخشن، وقراءة الحرارة كالبارد والساخن، وهكذا... أي يعتمد اللمس على المؤثرات الداخلية للإحساس بالمحيط الخارجي، أما المسّ فهو حاسة الجسد كله، يتم بتأثير المحيط الخارجي في الإنسان عكس اللمس، لذا كان التعبير باللمس عن الأشياء الخارجية والمعنوية، أما اللمس فالتعبير كان عن الأمور المادية.

فالملموس من أثر مادي، كلمس اليد للأشياء، للمعانية، أو للاشتهاء... ومثاله:

نَزَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴿٧: الأنعام﴾. يقول الألوسي في تفسير ذلك: «أن اللمس كما قال الجوهري المس باليد، وذكرت كلمة بأيديهم لزيادة التعيين، وذلك لأن الإحساس باللصوق يكون بجميع الأعضاء، وللبد خصوصية في الإحساس ليست لسائرهما. وقال ابن المنير: الظاهر أن فائدة زيادة لمسهم بأيديهم تحقيق القراءة على قرب. وتخصيص المس لأنه يتقدم الإبصار»<sup>(٨٤)</sup> لذا «عاينوه ومسوه بأيديهم ونظروا إليه لم يصدقوا به»<sup>(٨٥)</sup>.

ومنه لمس النساء الذي يوجب الوضوء والاغتسال: لَا اسْتَمِ النَّسَاءُ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴿٦: المائدة﴾. ففي الدر المنثور جاء أن اللمس هنا قد يكون بالقبلة، والجس باليد؛ لذا فعليه الوضوء كما ذكر عن الشافعي. وقيل أنه كني به عن الجماع<sup>(٨٦)</sup>.

لمس: ما يصيب من ضرر مادي يؤثر في المعنوية، ومثاله:

قول مريم لجبريل -عليهما السلام- عندما تمثل لها بشراً، حاملاً لها رسالة الله تعالى بالنفخ: ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْهُ ﴾ ﴿٢٠: مريم﴾، فقد استتكرت أن يكون لها غلام بدون أن يباشرها رجل، سواء بالزواج أو بالزنا. و«المس هنا كناية عن المباشرة»<sup>(٨٧)</sup>.

ومن ذلكم الحكم على السامري: ﴿ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسَ ﴾ ﴿٩٧: طه﴾. فإله تعالى رماه بداء عقام، لا يكاد يمس أحداً، أو يمسّه أحد كائناتاً من كان إلا حم من ساعته حمى شديدة، فتحامى الناس، وحاموه، وكان يصيح بأقصى صوته: لا مساس، وأريد بالنفي النهي؛ أي لا تمسني ولا أمسك وحرّم عليهم ملاقاته، ومكالمته، ومؤاكلته، ومبايعته، وغير ذلك مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات»<sup>(٨٨)</sup>.

الإحساس والشعور لعل الفارق بين الحسّ والشعور كما هو الحال في اللمس والمس، إذ يكون الإحساس للشيء المدرك يقيناً، ففي اللغة أحسّ: علم ووجد، وتحسّس أي تطلّب<sup>(٨٩)</sup>، ولذا كانت تسمية الحواس الخمسة بذلكم، وكان الإحساس لذات الآلة، كالإحساس بطعم الموالح، والإحساس بلهيب النيران، والإحساس بألم ما... وكل ما توسع في المعنى عن الإحساس المدرك استخدمته السياقات القرآنية، في نحو: ﴿أَحْسَسْ عَيْسَى مِنْهُمْ﴾ ﴿٥٢: آل عمران﴾. أما:

الشعور فهو للشيء غير المتيقن، أو للعلم المعنوي، وكأنه يعتمد على المؤثرات الداخلية للإنسان، لذا نقول المشاعر غير ثابتة، فهي متقلبة مع تغير الأوضاع. وفي اللسان<sup>(٩٠)</sup> شَعَرَ أي أدريته فدرى، وشَعَرَ به أي عقله. ومنه: ﴿قُصِّدِيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١: القصص﴾، ﴿هَلْهَا النَّمْلُ ادْخَلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحِطُّ بِكُمْ مَنَ وَ جُنُودُهُ وَ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٨: النمل﴾، ﴿لَعَذَابُ مَن دَخَلَ مِنْ دُونِهَا لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٦: النحل﴾، فلو كان الإنسان عالماً بميلحسّ به في هذه المواقف لاستبدلت يشعر بيحسّ.

: من أبجدياتها الذوق والأكل والطعام والشراب<sup>(٩١)</sup>، فالذوق لغة طعم الشيء في الفم وغيره، ويكون فيما يُحمد ويكره، ويستعمل بما يتعلّق بالأجسام في المعاني، وهو أوسع معنى من الأكل؛ لأن الأكل لا يكون إلا في الطعام، وتوسعوا في معناه حتى شمل ما يخرج من الشجر للإطعام والمال والرزق. والطعام اسم جامع لكل ما يؤكل، ومذاقه يجعلنا نقبل عليه أو ندبر وفق ذوق الكائن، ففي الصين يأكلون أصنافاً من الحشرات تأبأها النفس العربية مثلاً، وفي الغرب يتلذذون بلحم الخنزير والصفادع لا يستسيغها الذوق العربي. استقت اللغة من هذه المذاقات المعاني المجازية للكلام، فبنينا نقول: كلام فلان شهد أو عسل أو لاذع أو بلا طعم...

وفي القرآن مواقف جعلت من الحاسة لغة تواصل،

فيه إشارة إلى استخدام رذائه في التواصل مع محبوبته، يقول<sup>(٩٤)</sup>:

فقلتُ لهيلهُ فَوْزٌ، هلْ لي إِلَيْكُمْ

سَبِيلٌ؟ فقالتُ بالإشارة: أبشِرْ.

وَقَفْتُ لها في ساحةِ الحَيِّ ساعةً

أشِيرُ إِلَيْهَا بِالرِّدَاءِ الْمُعَصَّرِ

وفي التنزيل وردت بعض الأدوات التي كان لها

فضل في التواصل<sup>(٩٥)</sup>، مثل:

- القميص: إن ارتداء القمصان والملابس بشكل عام

فرضت على بني آدم للستر والحفاظ عليه من الحرارة

والبرودة، لكن القميص في قصة يوسف عليه السلام جاءت

لدلالات ثلاث، الأولى؛ لإخفاء ما اقترف الأخوة بحق

أخيهم: ﴿عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨].

والثانية؛ لإثبات براءة النبي من غواية امرأة العزيز،

حتى أضحى فيما بعد تشريعاً في معرفة المرادة من

الاعتصاب كإل قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ

وَهُوَ مِنَ الْكَافِلِينَ كَمَا قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرِ

فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ

دُبُرِ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ ﴿٦٦﴾ [يوسف: ٢٨]. أما الثالثة

فمعجزة لإشفاء يعقوب أبي يوسف عليهما السلام:

﴿بِقَمِيصِي هَلِّقُوقاً عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ

بَصَرٍ يَرَى﴾ [يوسف: ٩٣].

- العصا: للعصا مآرب كثيرة، فقد تكون تهديداً لعقاب

كما كان يفعل مدرء المدارس، أو أداة لقيادة القطيع،

وفي قصة موسى عليه السلام تحدثنا عن مآربه الأخرى:

الأولى؛ معجزة لإخراج الماء من الأرض بعد شق

عيونها: ﴿

مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]. والثانية؛ التوكؤ

عليها لمساعدته في المشي مع الغنم وربما يعبر بها

الأرض القاسية التضاريس، وكذلك الهش بها يحرّك

الشجر للغنم حتى يسقط الورق، وحاجات ومنافع

أخر<sup>(٩٦)</sup>: ﴿عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا

فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى﴾ [١٨: ١٨]،

ليستطيع من خلالها الإقبال على عمل الشيء والرغبة

فيه، أو الإدبار والنفور منه، سواء أكانت تلك اللغة بين

البشر أنفسهم، أم بين الإنسان وخالقه، في مثل: التنعم

بالأكل الهنيء، والرحمة للترغيب: ﴿وَأَشْرَبُوا هَنِينًا

﴾ [١٩: الطور]، ﴿مَمَّا يَتَخَيَّرُونَ \*

وَلَدَحِمٍ طَيْرٍ مَمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [٢٠، ٢١: الواقعة]. ومنه:

التحذير مخافة العقوبة أو لعدم الحرمان: ﴿

﴾ [٢٢: الأعراف]، ﴿

مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ

يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [٢٤٩: البقرة].

: لَقَبَ النحوي عمرو بن عثمان

بسيبويه، ومعناه رائحة التفاح؛ لأن كل من كان يلقاه لا

يزال يشمّ منه رائحة الطيب<sup>(٩٧)</sup>، وكثير منا من يختار له

نوعاً من العطور يعرف به، فإذا ما مرّ نستدلّ عليه من

رائحته ولا يكفّ الطفل الرضيع عن البكاء إلا إذا اشتمّ

رائحة أمّه. ومن الروائح الزكية رائحة الطعام الطيب

الذي يجعلنا نقبل عليه نتذوقه ونتلذذ بطعمه، أما ما

تعفن منه وخرج فننفر منه، بل نلقيه في القمامة.

وفي القرآن كانت الرائحة رسولاً بين نبيين باعد

بينهما المكر والغيرة، إذ فقد يعقوب ابنه يوسف عليهما

السلام ردها من الزمن، فأرسل يوسف قميصه لأبيه مع

إخوته: ﴿الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ

يُوسُفَ﴾ [٩٤: يوسف]، «فما يخطر على بال أحد أن يوسف

بعد في الأحياء، بعد هذا الأمد الطويل، وأن له ريحاً يشمّها

هذا الشيخ الكليل، والمحيطون بيعقوب لم يكن لهم ما له

عند ربه، فلم يجدوا ما وجد من رائحة يوسف<sup>(٩٨)</sup>.

\_\_\_\_\_ ) \_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_):

يرتبط هذا النظام التواصلّي بالأدوات والأشياء

للمساعدة في عملية التواصل، كالتّي استخدمها المرء

للدلالة على مفهوم ما، نحو نكت الحصى عند الهَمِّ،

ولطم الخدود بالنعال عند الحزن، واستخدام العصا عند

الشرح. وفي ثنايا التراث نجد للعباس بن الأحنف قولاً

وَسَتُكُونُ الْعَصَا فِيمَا بَعْدَ مُعْجَزَاتِهِ؛ وَذَلِكَ بِتَحْوِيلِ عَصَاهُ إِلَى ثَعْبَانٍ مَبِينٍ يَلْقَفُ كُلَّ أَعْمَالِ السَّحْرَةِ الَّتِي تَسْحَرُ أَعْيُنَ النَّاسِ بِتَحْوِيلِ حَبَالِهِمْ وَعَصَوَاتِهِمُ الْخَشَبِيَّةَ إِلَى فُأَعٍ وَهَمِيَّةٍ: ﴿عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢] ثم ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥].

الهدية: وقع الهدية على النفوس عظيم، فكم من هدية ألقت قلوباً متنافرة! وفي تراثنا الديني: تهادوا تحابوا. وهدية بلقيس لسليمان كما يرى المفسرون<sup>(٩٧)</sup> لم تكن إلا من باب الاختبار له، فقد عرفت أنه ذو شأن عظيم؛ لذا أرادت أن تمتحنه بها، فإن قبلها أدركت أنه ملك يريد أن يوسع ملكه، وإن لم يقبلها فسيكون نبياً لا يساوم بهدية على مبدئه، فوَلَلْتَنِي ﴿مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَدَبَمَ يَرَجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

رَأَدُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُونَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [القصاص: ٧]. فالإيحاء نظام تواصلية يتم من الله إلى البشر؛ وإن كان بسبل خاصة<sup>(١٠١)</sup>، ومن الأنبياء إلى البشر، ومن البشر بعضهم إلى بعض، ومن الجن أو الشياطين إلى بني الإنس والعكس مثله، وكانَّ الطاقة الروحية السلبية؛ في عالم الثقليين، تؤثر سلباً على قرناء السوء، والإيجابية تؤثر إيجاباً على قرناء الخير<sup>(١٠٢)</sup>.

الهدية: وقع الهدية على النفوس عظيم، فكم من هدية ألقت قلوباً متنافرة! وفي تراثنا الديني: تهادوا تحابوا. وهدية بلقيس لسليمان كما يرى المفسرون<sup>(٩٧)</sup> لم تكن إلا من باب الاختبار له، فقد عرفت أنه ذو شأن عظيم؛ لذا أرادت أن تمتحنه بها، فإن قبلها أدركت أنه ملك يريد أن يوسع ملكه، وإن لم يقبلها فسيكون نبياً لا يساوم بهدية على مبدئه، فوَلَلْتَنِي ﴿مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَدَبَمَ يَرَجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

#### الميتافيزيقي الباراسكيبولوجي ( ) :

وهو علم يدرس كل ما هو خارق للطبيعة، ويحدث من غير وسائط حسية للتواصل مع الآخرين في معرفة أمور تحدث في المستقبل، والتأثير فيهم. ولعل قضايا الرؤيا والأحلام، والوحي والوسوسة تندرج في هذا النظام؛ كونها تكشف ما وراء الطبيعة خارجة عن النطاق الحسي عند الإنسان.

فالوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام<sup>(٩٩)</sup> يسمى وحياً. وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحياً، والكتابة تسمى وحياً، وكل ما ألقىته إلى غيرك<sup>(١٠٠)</sup>، أي أن التواصل يتحقق عن طريق ما لا يتحسس بالحواس الظاهرة، لذا وصف بالخفي، ومنه:

فَلَوْ دِينَا

فَكَانَ كُلُّ فَرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ [الشعراء: ٦٣] ﴿لَوْ دِينَا تَنبِيْلُهُمْ لِبَاءَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، ﴿الْمُتَلَبِّطِينَ لِیُؤَدُّوا إِلَى أَوْ لِيَأْتِيَهُمْ لِبِجَادِ لُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] ﴿لِيُؤَنِّمَ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليمِّ

الرؤي : يرى أهل اللغة بأن حَلَمَ يَحْلُمُ هو ما يراه النائم، والرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الشر والقيح، ومنه قوله ﷺ: ﴿﴾ [٤٤: يوسف]، ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر<sup>(١٠٣)</sup>. جاء عن القرطبي أنه قال: «يخلق الله تعالى للرائي علماً ناشئاً، ويخلق له الذي يراه على ما يراه ليصح الإدراك»<sup>(١٠٤)</sup>، وبذا روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»<sup>(١٠٥)</sup> وفي القرآن ثمة أكثر من موضع جعل من الرؤيا نوعاً من التواصل سواء أكانت من الأنبياء التي تعد رؤاهم ضرباً من الوحي تتحقق، نحو رؤى إبراهيم ويوسف ومحمد عليهم السلام؛ أو من الآخرين نحو رؤى ملك مصر والفتيين، فكانت من قبيل ضرب المثل للناس بأن بعض أحلامهم قد تكون صادقة تتحقق فتكون حينئذ رؤياً. منها:

٤ لما بلغ إسماعيل عليه السلام سنّاً يكون في الغالب أحبّ ما يكون لوالديه، وقد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته، فقال له إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا

يَا :

﴿١٠٢: الصافات﴾، ورؤيا الأنبياء وحي، وهي أمر من الله تعالى لا بدّ من تنفيذه<sup>(١٠٦)</sup>، فعندما استسلموا وصدقوا الرؤيا فُدي بكبش عظيم<sup>(١٠٧)</sup>، فكانت هذه سنة متبعة إلى يومنا هذا، وسمي عيد الحج بعيد الأضحى كرامة لنبين عليهما السلام.

٤ ٢. وفي سجن يوسف عليه السلام: ﴿ أَدُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى ﴾ [١٢٠: طه]؛

وسوسة إغوائية عن طريق السؤال الإغرائي، وتزيين

الباطل لهملها **﴿مَا رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ**

**تَأْتُوا بِهِ﴾** [٣٦: يوسف]، فُودَّ الأُولَى إِلَى عَمَلِهِ الَّذِي تَكُونُوا مَلَكِينَ أَوْ تَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ **﴿**

الرد من أجل التواصل: **﴿** [١٢١: طه]؛ أثر

التواصل: **﴿**

على صدق يوسف، وتصديقاً لنبوته. **وَطَفَّقَا يَذُصَّ فَانَ عَلَيْهِمَا مِنْ رَقٍ**

**﴿**... [٢٢: الأعراف] ولا ندري كيف تتم وسوسة

الجنة، لكننا نجد آثارها في واقع النفوس وواقع الحياة، أما

وسوسة الناس فنعرها، نحو: رفيق السوء، وحاشية

السلطان، والنمام الواشي، وعشرات من الموسوسين الذين

ينصبون الأحابيل ويدخلون بها من منافذ القلوب الخفية

التي يتحسسونها، فتكون أشد من وسوسة الشياطين،

وأخفى منهم دبيباً <sup>(١١٢)</sup>.

\_\_\_\_\_:

يرى هول <sup>(١١٣)</sup> أن المتغيرات المكانية تعطي طابعاً

للاتصال، بل تهيمن على الكلمة المنطوقة، فتغير

المسافة بين الناس والحركة المستمرة فيها أثناء تفاعلهم

مع بعضهم البعض هو جزء لا يتجزأ من عملية الاتصال،

حتى دفعته إلى القول بأن: «الزمن يتكلم» <sup>(١١٤)</sup>. فإذا كان

كلامه عن المكان ينبئ عن طريقة يتواصل بها الناس؛ فإن

المكان لا يقل أهمية في العملية ذاتها، فكلاهما يشكّلان

نظاماً دلالياً تواصلياً.

وفي قول الأعرابية الآتي ملمح يشير إلى ذنيك

البعدين؛ الزماني والمكاني، حين سئلت عن مكان منزلها،

فقالت:

أَمَا عَلَى كَسَلَانَ وَإِنْ فَسَاعَةً

وأما على ذي حاجة فيسير <sup>(١١٥)</sup>

فعبارتها تقول بأن منزلها بعيد قريب، فالكسول

يحتاج إلى مدة زمنية أطول من ذي الحاجة، وكأن

المسافة- في هذه الحالة- أصبحت أبعد عليه من مسافة

الشخص الثاني، فهو لا يصل إلى المكان بالسرعة الزمنية

التي يقطعها الآخر. فالكسول متباطئ غير مسرع، عكس

:

خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ

بِتَأْوِيلِهِ **﴿** [٣٦: يوسف]، فُودَّ الأُولَى إِلَى عَمَلِهِ الَّذِي تَكُونُوا مَلَكِينَ أَوْ تَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ **﴿**

كان عليه؛ ساقياً للملك، ودُعي الثاني، فصدلب،

وأكلت الطير من رأسه <sup>(١٠٨)</sup>، فأصبح التعبير دليلاً

على صدق يوسف، وتصديقاً لنبوته.

٤ كان تعبير رؤيا الملك سبباً إخراج يوسف عليه السلام

من السجن، وتمكينه في أرض مصر، فقد **﴿**

الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ

عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنْبُلَاتٍ خَضَرٍ وَأَخْضَرٍ يَأْبَسَاتُ يَا أَيُّهَا

الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ **﴿**

[٤٣: يوسف] فَاوَّأَ لَهَا يَوْسُفُ بَسْنَى الْخَيْرِ وَالْقَحْطُ <sup>(١٠٩)</sup>.

فالحلم أو الرؤيا سواء أكانت خيراً أم شراً، من عند

الله أم من عند الشيطان، للأنبياء أم للعامة، للمؤمنين أم

لغيرهم؛ فهي تعد من الأنظمة التواصلية التي تتم بطريقتين،

الأولى ما يراه النائم في عالم الغيبات من أحداث وكلام،

والثانية عن طريق حكايتها باللفظيات سرداً أو طلباً

لتعبيرها، أو بالسلوكيات بتنفيذ ما جاء فيها، كأن يحلم

أحدنا بأن الخروج من مأزق ما التحصن بدعاء يلهمه الله

إياه لتلاوته والمداومة عليه، أو قد يستخير بعضنا في أمر

آخر فيرى شخصاً يرتدي البياض يدلّه على الطريق

الأمثل، ويعطيه شيئاً، وهكذا...

: جاء عن الراغب الأصفهاني أن الوسوسة

هي الخطرة الرديئة <sup>(١١٠)</sup>، وأضاف ابن منظور أن

الوَسْوَسَةُ وَالْوَسْوَسُ هُوَ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ مِنْ رِيحٍ وَحَدِيثِ

النَّفْسِ، وَالْوَسْوَسُ هُوَ الْفَتْحُ هُوَ الشَّيْطَانُ، وَكُلُّ مَا حَدَّثَكَ بِهِ

وَوَسْوَسَ إِلَيْكَ <sup>(١١١)</sup>. والوسوسة لون آخر من ألوان النظم

التواصلية تكون بين قرنين، كون الوَسْوَسُ سِوَى إِلَيْهِ

يستحيب لظاهرة الوسوسة. وقد ظهرت في القرآن في

سياقات محاورها الشيطان وأدم، الشيطان وبنى آدم،

وسوسة الجنة والناس بعضهم لبعض، وسوسة النفس

لذاتها. منها: **﴿** إِبْلِيسَ لِيَلْطَأَنَّ قَالَ يَا أَدَمُ هَلْ

الأخر الذي يكون متلهفاً ونشيطاً وسريعاً لنيل مبتغاه. إن طبيعة المكان، وبعده أو قربه، وهيبته، وشكله؛ عوامل دلالية يمكننا من خلالها التواصل أو عممه، تدفعنا لأن نألف المكان ونستأنسه، أو نستوحش منه وننفر. فإجراء المقابلات مع مدراء المؤسسات مثلاً تتم بين الأشخاص وهم يبعدون عنهم مسافة؛ لخلق نوع من الهيبة، بل إن طبيعة المكان الذي تجري فيه المقابلة قد تجعل الفؤاد مضطرباً أو مطمئناً. ومن الملاحظ أن ابتعاد الأشخاص عن مكان ما قد يقضي إلى النفور منه مثلاً، واختيار مكان ما قد يكون له سحره وبيانه. فلننظر إلى موسى وقومه عندما أمرهم بأن يأتوا معه، فقالوا: ﴿يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ﴾ [٢٤: المائدة] لا يريدون أن يجتمعوا في ذلك المكان تهيّباً وخوفاً من أولئك الجبابرة الذين يقطنونه. في حين آخر يحقق المكان تواصلاً يشعر بالأريحية.

وثمة المتغيرات الزمانية التي نستقرئ من خلالها وسائل تواصلية متغايرة، فوقت الصباح له دلالاته التي تختلف عن وقت المساء، إذ يمكننا فيه تبادل العلاقات العامة والخاصة، بينما يختصّ المساء لعلاقات محدّدة.

وكذا تتوّع فصول السنة لها دلالاتها، فتكثر الرحلات والأنشطة والنوادي في فصل الصيف، بينما تقلّ في الشتاء. وهناك مواسم الطاعات التي تمارس فيها طقوس لا تمارس في غيرها من الأوقات، كصلاة العيد بعد طلوع الشمس لأول أيام العيدين، وأداء مناسك الحج، وقيام صلاة التراويح جماعة... وهكذا... وفي قوله الْقَهَاتِي: ﴿يَا رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ

سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَظِيدًا لِيَلَّا﴾ [٤٥: الفرقان]، فالظل لا يظهر إلا في النهار مع الأجسام المعتمة لقوله تعالى: ﴿٨١: النحل﴾، فالدلالة

المكانية للظل تدفع الإنسان لأن يطلبه أينما كان، بل إن الإنسانية استدلّت على أوقات النهار بقصر الظل وطوله.

ومما جاء في الذكر الحكيم ما يشير إلى أن الزمان

والمكان يشكلان نظاماً تواصلياً يقوم مقام الكلام، فمجمع البحرين، والمكان القصي، ومتكاً امرأة العزيز، ومكان السراب للعطشان، أمكنة دلالية تواصلية. ومواعيد الصوم في رمضان، وأداء فريضة الحج، والأضحية أيام النحر، وملتقى السحرة وموسى يوم الزينة أزمنة دلالية تواصلية. وكلّ منهما أي الزمان والمكان؛ قد يشكلان تثنائية دلالية تواصلية، بحيث نستدل على وقت حصول الحدث في مكان ما، ومكان حدوث الأمر في وقت ما. يقول المرزوقي: «الذوات لا تحصل إلا في مكان وزمان»<sup>(١١٦)</sup>. وارتأى كريم زكي بأنه «إذا أردنا تتبع الزمان فيجب أن نترجمه بالمكان؛ لأن أوقات اليوم والشهر والسنة ما هي إلا تغيرات زمانية عن أوضاع مكانية، تصوّر حركة الأرض حول محورها وحول الشمس، كما أننا إذا أردنا أن نتصوّر الأحداث التي تميز بها الإنسان يمكن أن نتصورها وكأنها تقع على خطّ مستقيم له سياق زمني، وإذا أردنا أن نتصور أن المكان مجموعة من النقاط الموجودة على هذا الخطّ المستقيم، فإننا سنجد هذا المكان هو الذي يحدث فيه الشيء المتزامن، والزمان هو الذي يحدث فيه الشيء الممكن»<sup>(١١٧)</sup>.

- يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أُبَلِّغُ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [٦٠: الكهف]، فالمجمع كما يقول الألويسي هو «الملتقى، وهو اسم مكان... ولعل المراد مكان يقرب فيه التقاؤهما... أو مكان يتفق فيه اجتماعهما»<sup>(١١٨)</sup> إذ كيف بموسى ﷺ أن يتعرف إلى الرجل الصالح الذي أمره الله أن يلتقي به دون أن يكون ثمة ميعاد بينهما، أو مكان يتفقان عليه للقاء؟ لذا كانت علامة اللقاء أن يفقد الحوت في مجمع البحرين، وأين فقدته فثمة اللقيا.

- قال ﷺ: ﴿حَمَلْتَهُ فَاتَّخَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [٢٢: مريم]؛ أي: اعتزلت مريم أهلها؛ لأنها حملت بعيسى ﷺ بعد أن نُفخ فيها، فكان الحمل بدون زواج، فاستحيت، وهربت حياءً من قومها؛ لذا اتخذت مكاناً قصياً بعيداً عن أعين الأهل<sup>(١١٩)</sup>. ويبدو أن بعد المكان لمريم كان له أهمية في



للإفطار، وهذه الآية تشير إلى أن المسلم يتوجب عليه الامتناع والإباحة عند أوقات محددة من اليوم، وبدون التقيد في هذه الأزمنة لا يعد صوماً. لذا كان الزمن هنا إشارة تبليغية للاستمرار في عملية الصوم لأيام

شبيين: أولهما في وقت عملية الإنجاب، فهي على استحياء مما هي فيه. وثانيهما أنها تريد مكاناً تأنس إليه بعيداً عن أسنة أهلها الذين سيسألونها وسيتهمونها وسيعيرونها بالولادة من غير زوج.

معدودات، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

- وفي الآية الكريمة: ﴿

الصَّيَّامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

إِلَيْهِمْ وَأَعَدَّتْ لَهُمْ مَكْنَأً وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا لِيَكُنَّ

أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ...﴾ [١٨٤، ١٨٣: البقرة]، «أي

[٣١: يوسف]، والمكناً اسم مكان، وهو المجلس<sup>(١٢٠)</sup>، إذ

معينات بالعد أو قليات؛ لأن القليل يسهل عده»<sup>(١٢٤)</sup>.  
«تسهيلاً على المكلف»<sup>(١٢٥)</sup>. ومن أظفر فيهن

يتواصل الناس من خلاله بالمسامرة، وتتاول ما لذ وطاب

من الأشرية والأطعمة. وفي حادثة امرأة العزيز صورة

بيانية في استشراف التواصل، ونقل رسالة لتلك النسوة

كالمرضى أو المسافرين وجب عليه الإعادة لقوله تعالى:

اللاتي يرددن على ألسنتهن مرادة امرأة العزيز لفتافهان كان

﴿مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ

يُوسَفُ الْكَلْبِ﴾ «فهيأت لهن مجالس يتكنن عليها، وأعتأهر

وَعَلَى الَّذِينَ يَطْبُقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسْكِينٍ فَمَنْ

من الاعتداد، وهو كل ما اتكى عليه من النمارق والوظائف

ذَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

عند طعام أو شراب أو حديث، وقيل المتكأ هو مجلس

يوم الزينة في قوله تعالى ﴿فَلْيَنْتَفِئْ بِسِحْرِ مِثْلِهِ

الطعام؛ لأنهم كانوا يتكؤون له كعادة المترفين

فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا

المتكبرين.﴾<sup>(١٢١)</sup>.

مَوْعِدِكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ

- وفي قوله عز شؤنه<sup>(١٢٢)</sup> ﴿يَنْ كَفَرُوا وَأَعْمَالُهُمْ

﴿٥٨، ٥٩: طه﴾. وفي الآيات الكريمات: ﴿

كَسْرَابٍ بِقَيْعَسِيهِ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ

السَّدْرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ

وَجَدَهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ

لَعَلَّكُمْ تَتَّبِعُ السَّدْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾

﴿٣٩: النور﴾. وهنا صورة تقريبية لتشبيه «أعمال

﴿٤٠ الشعراء﴾، لما كان من أمر موسى عليه السلام مع فرعون،

الكفار في اضمحلالها، وفقدان ثمرتها بسراب في مكان

وعصاه التي تحولت إلى ثعبان مبین، أمر فرعون سحرته

منخفض، ظنه العطشان ماء، فقصدته، وأتعب نفسه في

بأن يجتمعوا وموسى، فكان موعد اللقاء يوم الزينة، وهو

الوصول إليه، حتى إذا جاء؛ أي جاء موضعه الذي

يوم عيدهم، أي يوم معلوم للجميع، وهذا الموعد لا ينفك

تخيله فيه؛ لم يجده شيئاً، أي فقده، لأنه مع الدنو لا يرى

أحد يخلفه؛ لأن ميقاته ضحوة ذاك النهار، فقالوا (لا

شيئاً)﴾<sup>(١٢٢)</sup>.

خلفه)؛ أي لا خلف ذلك الوقت من الاجتماع فيه<sup>(١٢٦)</sup>.

- صيام رمضان في قوله تعالى: ﴿

ورأى الأوسي أنه «لما وقت به من ساعات يوم معين،

حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ

وهو وقت الضحى من يوم الزينة، على أن الميقات من

الفجر ثُمَّ اتَّمُوا الصَّيَّامَ إِلَى اللَّيْلِ...﴾ [١٨٧: البقرة]. جاء

صفات الزمان»<sup>(١٢٧)</sup>، لكن الزمخشري رأى أنه ما وقت به

في روح المعاني<sup>(١٢٣)</sup> أن إباحة الأكل والشرب في

من زمان أو مكان على حد سواء<sup>(١٢٨)</sup>. وأن يكون هذا

رمضان الليل كله، إلى أن يتبين الخيط الأبيض،

الموعد «(مكاناً سوى) أي مستوياً من الأرض، أي لا وعر

والمقصود هو أول ما يبدو من الفجر الصادق المعترض

فيه، ولا جبل، ولا مطمئن من الأرض؛ بحيث يسير ناظر

في الأفق قبل انتشاره. والامتناع عن الأكل والشرب طوال

فلا يرى مكان موسى والسحرة، وما يصدر عنهما»<sup>(١٢٩)</sup>.

النهار إلى أول الليل. فالنهار ظرف للصوم، والليل ظرف

عن التلطف باستعمال أصابع اليد للدلالة على الأرقام والأعداد في المعاملات التجارية. للمزيد ينظر: طاش كبرى زاده؛ عصام الدين أحمد بن مصطفى

السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٩٨٥م (ط١)، ج١، ص٣٧٢

(٥) ابن جني أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ/١٠٠١م)،

تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى،

بيروت، ج١، ص٤٦٦ ٢٤٧.

(٦) الحال الناطقة بغير لفظ، والمشيرة بغير يد.

(٧) عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، عيون

مجلد ١، ج٢، ص١٨١.

(٨) محمد بن أبي بكر بن قيم بن الجوزية (ت ٧٥١هـ/

١٣٥٠م)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق:

أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٩٩٥م، (ط١)، ص٩٣ ١٩٤.

(٩) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي (ت

٤١٤هـ/١٠٢٣م)، تحقيق: أحمد

أمين، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٣م، ج٣، ص١٤٤.

(١٠) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/

١١١١م)، تحقيق:

محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ج٢،

ص٣٩.

(١١) الغزالي ج٢، ص١٥ ١١٦.

(١٢) السابق، نفسه ج٢، ص١١٦.

(١٣) أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)،

جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الرياض، ١٤٢٣هـ،

ج٢٩، ص٥ ٦.

(١٤) السابق، نفسه ج٢٩، ص٦.

(١٥) أبو إسحق إبراهيم بن محمد الشيرازي (ت ٤٧٦هـ/

١٠٨٣م)، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٩٨٥م، ص٥٣ ٥٤.

(١٦) أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ/

١٦٥٠م)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار

الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج١، ص٣٧٣.

(١٧) اللباد محيي الدين، - - :

- أداء فريضة الحج، وأيام النحر في قوله عز شأنه:

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ

أُتِيَكَ مِنْ كُلِّ فُجٍّ عَمِيقٍ يُشْهِدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا

اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴿٢٨، ٢٧: الحج﴾. إذ تعلن

فريضة الحج عن نفسها وقتاً معيناً من السنة؛ يأتي

الناس من كل مكان مهما قرب أو بعد، يؤدّوا مناسكهم،

ولا يكون ذلك إلا في البيت الحرام الذي «جعله تعالى

مرجعاً لكل حاج يرجع إليه للعمارة والعبادة، تشریفاً

لسيدنا إبراهيم عليه السلام وقت جعل مكان البيت مباءة له،

ولعقبه، يرجعون إليه، ويحجونه»<sup>(١٣٠)</sup>. ومن مناسك الحجّ

النحر، ولا يكون إلا في أيام معلومات من الحجّ؛ أي

مخصوصات، وعدتها عند المفسرين<sup>(١٣١)</sup> ثلاثة أيام، يوم

العيد، ويومان بعده، وقيل أربعة أيام، وهي أيام التشريق.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

#### الهوامش:

(١) فرديناند دي سوسير،

ترجمة: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية،

الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص٤٠.

(2) Bloomfield, Leonard: **Language**, New York, 1961, Hot, Rinehart and winston, p. 3

(٣) ثمة أكثر من دراسة عمدت إلى لغة الجسد، لكنها لم

تختص بكتاب الله ﷻ، منها: لنتالي باكو،

ترجمة: سمير شيخاني، دار الجبل، بيروت، ١٩٩١م،

(ط١). و **الجسمية - لغوية**

- ، لكريم زكي

حسام الدين، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٢م (ط٢).

و ، لمحمد كشاش، بيروت، المكتبة

العصرية، ٢٠٠١م (ط١). **والبيان**

، لمهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية،

بيروت، ٢٠٠٧م.

(٤) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)،

**البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة

الخانجي، مصر، ١٩٦٠م، ج١، ص٧٦. (العقد) أي

عقد الحساب، مصطلح تواضع عليه العرب ليستغنوا به

- دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م، (ط١)، ص١٧.
- (١٨) الإشارات الجسمية، ص٩.
- (١٩) دي سوسير، ص١٦.
- (20) Macdonald, Critchley; **Silent Language**. London. 1973. P. 13.
- (٢١) الإعلام وسيلة ورسالة، ترجمة ساعد خضر الحارثي، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٩م، ص٢٦.
- (٢٢) ينظر:
- Knapp, & Hall; **Noverabal Communication In Human Interaction**. Fort Worth; Harcourt Brace. 1994 (4th). P. 17.
- (٢٣) ينظر:
- Noverabal Communication** Knapp, P. 4.
- (٢٤) ينظر:
- Dell Hymes; **Language In Culture & Society**, New York. 1984. PP274-288.
- وينظر:
- Alfred, Heyes; **ParaLinguistics & Kinesics. Approaches to Semiotics, Conterence on ParaLinguistics & Kinesics. Indiana University, Mouton, 1972. PP154-172.**
- (٢٥) وهي: الجسم والجسد، الرأس، العين، الطرف، الأذن، الفم، اللسان، العنق، اللحية، اليد، الكف، الأصابع، الأثامل، لبنان، اليمين، الشمال، العضد، الرجل، القدم، الظهر، البطن، الصدر، العقب، القلب، الفؤاد، الحشاء، الكبد، ذكرنا بعضها.
- (٢٦) ينظر: عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ١٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩م، (ط٢)، ص٧٢.
- (٢٧) ، ص٦٠ ٦١.
- (٢٨) ينظر: ابن منظور (ت ١٣١١هـ/ ١٧١١م)، ، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب وصاحبه، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٩م (ط٣)، (هطع) .
- (٢٩) ينظر: السابق، (قنع).
- (٣٠) ينظر: القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٢٧٢هـ/ ١٢٧٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م (بدون طبعة)، ج٩/ص٢٤٧. والظري أبو جعفر محمد بن جرير ابن
- يزيد بن خالد (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م (ط١)، ج٧/ص٤٦٨ ٤٦٩. والبغوي ركن الدين أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، (ط١)، ج٣/ص٣١.
- (٣١) للمزيد نظر: القرطبي، ، ٢٤٧/٩. والظري، ، ج٧/ص٤٦٨ ٤٦٩.
- (٣٢) ينظر: السعدي عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام اعتناء: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٩م، (ط١)، ص٦١٩.
- (٣٣) ينظر: محمد التكريتي، لغة العيون <http://www.alargam.com/sorts/ain/3.htm>
- (٣٤) ينظر: ابن سيده (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل، ، تصحيح: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، (ط١)، ج١/ص١١٣.
- (٣٥) ينظر: الألويسي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألويسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م)، ضبط علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، (ط١)، ج١٢، ص٣١٣. وأبو الحسن علي ابن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، **والعيون تفسير** ، تعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٢م، (ط١)، ج٥، ص١٥٠.
- (٣٦) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م)، **تفسير التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، ج٩، ص١١٦.
- (٣٧) للمزيد ينظر ما قاله الثعالبي (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)؛ أبو منصور عبد الملك في ألفاظ ترتيب البكاء في كتابه: **العربية**، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م، (ط١)، ص ٤٦٦ ٤٦٧.

- (٣٨) فالعبارة الأولى هي الأصل، والعبارة الثانية محولة من الأولى؛ لأنها حولت الفعل إلى العين مجازاً ومبالغة، ثم نبهت على الأصل والحقيقة بنصب ما كان فاعلاً على التمييز. أما العبارة القرآنية ففيها هذا التحويل المذكور؛ إلا أنها أبلغ من الثانية بإطراح المنبه على الأصل وعدم نصب التمييز في صورة التعليل. ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ابن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م)،
- التزليل وعيون الأقاويل وجوه التأويل**  
تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، (ط١)، ج١، ص٦٥٥، هامش رقم ٣.
- (٣٩) ينظر: الزمخشري، ج١، ص٦٥٥ ٦٥٦.
- (٤٠) ينظر الرابط:  
<http://www.aawsat.com/details.asp?section=14&article=186549&issueno=9022>  
ويستطيع الطفل أن يقرأ تعبيرات الوجه ويميزها قبيل الشهر الرابع، للمزيد ينظر الرابط:  
<http://www.muslim.net/vb/showthread.php?t=387008>
- (٤١) ينظر: دراسة حركة ٤٣ عضلة، جودي فورمان، الرابط:  
<http://www.aawsat.com/details.asp?section=14&article=186549&issueno=9022>
- (٤٢) القرطبي، ج١٠، ص٧٧.
- (٤٣) ينظر: الفخر الرازي الإمام محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر (ت ٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، تفسير **بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، دار الفكر، ١٩٩٠م، المجلد ١٥، ج١٠، ص٧٥.
- (٤٤) ينظر: أحمد مصطفى المراغي، تفسير، دار الفكر، (بدون سنة نشر)، (بدون طبعة)، المجلد ١٠، ج٢٩، ص٢٣.
- (٤٥) فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، **التفسير الكبير**، المطبعة البهية المصرية، ١٩٣٨م، ج١٩، ص١٥٩.
- (٤٦) ابن منظور، اللسان، (عبس).
- (٤٧) القرطبي، ج١٩، ص٥٠.
- (٤٨) ابن منظور، اللسان، (بسر).
- (٤٩) ينظر: القرطبي، ج١٩، ص٥٠.
- (٥٠) ينظر على سبيل المثال: محمد كامل، **للقائمين رعاية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م، (ط١).
- (٥١) طريقة قائمة على الإشارات اليدوية بدون استخدام الكلام، تشبه لغة الصم والبكم، تتكون من فريقين؛ الأول منهما يؤشر بيديه بإشارات متعارفة بين المتواصلين، بحيث يخمن الثاني ما المراد من تلك التأشيرات.
- (٥٢) ينظر: نتالي باكو، وعلي زيعور، **الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير العريضة**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩١م، (ط١). وحسين العورتاني وصاحبه، **الأساسية**، الزرقاء، ١٩٩٥م. وفؤاد الخوري، **أيدولوجية الجسد**، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٧م، (ط١). ومايكل كورباليس، **اليد إلى نطق الفم**، ترجمه: محمود عمر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٦م.
- (٥٣) ينظر: صالح الشماع، دار المعارف، ١٩٦٢م، ص٣٥.
- (٥٤) ينظر: القرطبي، ج٩، ص٢٦ ٢٢٧. والزمخشري، ج٢، ص٥٢١.
- (٥٥) واليد المغلولة واليد المبسوطة ذكرنا في الآية ٦٤ من سورة المائدة: ﴿يَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَهَابُ سَوَاطِنَ يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.
- (٥٦) ينظر: ابن منظور، اللسان، (حسر).
- (٥٧) سيد قطب، ج٤، ص٢٢٣.
- (٥٨) ينظر: ج١، ص٩١.
- (٥٩) ينظر: الطبري، ج٩، ص٥٢٩.
- (٦٠) ينظر: القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م)، **حاشية عناية وكفاية** تفسير **البيضاوي**، ضبط: الشيخ عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، (ط١)، ج٥، ص٢٩٠. وقطب، ج٤، ص٩٨١ + ١٩٨٢.

تحقيق: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م،  
(١)، ص ٤٤٤ + ١٤٥. كما عقد ابن سيده فصلاً عن  
الألفاظ المترادفة في الرؤية والنظر، منها: الطمح  
والرشق والتحميج والبرشمة والدحلقة وغيرها. للمزيد  
ينظر: ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت  
١٠٦٥/٥٤٥٨م)، دار إحياء التراث العربي،

بيروت، ١٩٩٦م، (١)، ج ١، ص ١٠٧ وما بعدها

(٧٣) للمزيد ينظر مقالة عبد الرحمن حواش،

الرابط:

[http://www.ahl-alquran.com/arabic/show\\_article.php?main\\_id=6693](http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=6693)

(٧٤) يتمثل **يُفِيحُ** ﴿هُمُ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾  
[إبراهيم: ٤٢]؛ أي لا تغمض من هول ما تراه في ذلك  
اليوم. ينظر: القرطبي، ج ٩، ص ٢٤٧.

(٧٥) ومنه تصوير المجرمين في استنباقهم السراط وهم

عميان لا يبصرون طريقهم في قوله: ﴿

عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾

[يس: ٦٦]. والمطموس هو الأعمى الذي لا يبين حرف  
جفن عينيه. ينظر: ابن منظور، (طمس).

(٧٦) ابن منظور، (غشا).

(٧٧) العسكري أبو هلال الحسن بن عبدالله،

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وصاحبه،

دار الجيل ودار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م (٢)، ج ١،  
ص ٢٥.

(٧٨) ينظر: ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله (ت ٢٨٨هـ/

٩٠٠م)، ( ) تحقيق: محمود

الخصيري، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،  
ص ٤ ٣.

(٧٩) ينظر: كشاش، ص ٤٢ وما بعدها.

(٨٠) كشاش، ص ٨٥.

(٨١) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب

الأصفهاني (ت ١١٠٨/٥٠٢م)، غريب

تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة،

بيروت، ١٩٩٨م، (١)، ص ٤٧٠.

(٨٢) ابن منظور، (لمس).

(٨٣) ابن منظور، (مسس).

(٨٤) ينظر: مجلد ٣، ج ٤، ص ٩١.

(٦١) البيان القرآني وضع ضبطاً في التفريق بين الاعتداء

والمراودة، ويستدل على ذلك من قوله: ﴿

مَنْ أَهْلَهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ

مِنَ الْكَاذِبِينَ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا

وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ

إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكَ إِنْ كَيْدُكَ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨].

(٦٢) ينظر: الزمخشري، ج ٣، ص ٨١. والقرطبي،

ج ٧، ص ١٨٤.

(٦٣) ينظر: قطب، ج ٦، ص ٣٧٦٢.

(٦٤) ينظر: الزمخشري، ج ٤، ص ٦٤٣.

(٦٥) تناول محمد كشاش علاقة الحواس باللغة وكيف يمكن

أن تساهم في عملية الإيصال والتواصل بطريقة

مسهب، وكان أحياناً يلمح لبعض ما جاء في القرآن

الكريم. للمزيد ينظر كتابه **رؤية**

**والتعبير غير اللسانية، المكتبة**

العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠١م، (١).

(٦٦) البيضاوي عبدالله بن عمر، تفسير البيضاوي، أنوار

التنزيل، بيروت، دار الكتب العلمية،

١٩٨٨م، (١)، ج ١، ص ٥٥٢ ٥٥٣.

(٦٧) ينظر: محمد كشاش، ص ٣٠.

(٦٨) للمزيد ينظر: القرطبي، ج ١٤، ص ١٠١.

يصف الله تعالى جبن المنافقين، وخوفهم من القتال،

وشحهم ببذل أنفسهم في السياق الكريم.

(٦٩) الألوسي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود

(ت ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)، تفسير

**العظيم**، تصحيح: علي عبد الباري

عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، (١)،

ج ١١، ص ١٥٤ بتصرف.

(٧٠) ينظر في الفرق بين البصر والعين: أبو هلال العسكري

(ت ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م)،

تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار

الأفاق الجديدة، ١٩٨٣م، (٥)، ص ٧٤.

(٧١) العسكري، ص ٧٤.

(٧٢) عقد الثعالبي فصلاً في تفصيل كيفية النظر وهيئاته في

اختلاف أحواله. للمزيد ينظر: الثعالبي أبو منصور عبد

الملك (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، العربية،

<http://www.arabnet5.com/articles.asp?%E4%C8%D0%C9-%DA%E4-%C7%E1%C8%C7%D1%C7%D3%ED%DF%E6%E1%E6%CC%EC-%E3%C7-%E6%D1%C7%C1-%C7%E1%D8%C8%ED%DA%C9=0&c=2&articleid=3875>

في الشبكة الإخبارية ArabNet5.com.

(٩٩) كلمة الإلهام لم ترد إلا مرة واحدة ضمن السياق الذي

يتحدث عن خفايا النفس: ﴿

﴿الشمس:٧، ٨﴾، يقول الزمخشري: "في إلهام الفجور والتقوى؛ أي إفهامها وإعقالها" (ج٤، ص٧٤٧)، وكأنه بهذا الإلهام يتم عن طريق العقل الذي يدرك الأمور المعنوية المزدوجة المتنافرة. ويرى قطب أن "الإلهام فطري الطبع؛ أي جبلت النفس على الخير والشر، لكن رحمة الله بالإنسان أدركهما عن طريق الرسالات والأنبياء ليحدد طريقه في حياته الدنيا" (ج٦، ص٣٩١٨).

(١٠٠) ينظر: الراغب الأصفهاني، ص٥٣١،

و ابن منظور، (وحي).

(١٠١) قضية الوحي فيها عدة آراء، لأن المولى ﷺ لا يتمثل كالبشر في طريقة الاتصال السمعي أو البصري، لذا كانت رسائله تصل إلى البشر أو الأنبياء بواسطة، مثل جبريل ﷺ، أو إرسال ملائكة على هيئة بشر.

(١٠٢) توصل العلماء اللغة والنفس في الآونة الأخيرة عن أثر البرمجة اللغوية العصبية، وكيفية أداءاتها على نفسية المرء سلباً وإيجاباً. للمزيد يراجع كتب إبراهيم الفقي.

(١٠٣) ينظر: الراغب، ص١٣٧. وابن منظور،

(حلم)، و(رأى).

(١٠٤) القرطبي، ج٩، ص٨٤.

(١٠٥) الإمام أحمد بن علي بن دَجَر العَسْفَلَانِي (ت ٨٥٢هـ/

٤٤٤٨م)، صحيح

تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام الرياض، دار الفيحاء، دمشق، ٢٠٠٠م، (ط٣)، كتاب التعبير، الباب ١، رقم ٦٩٨٢، ج١٢، ص٤٤٠.

(١٠٦) ينظر: السعدي، تيسير الكريم، ص٨٤٩.

(١٠٧) ينظر: الإمام أبو عبدالله بن محمد بن علي البنسني

(ت ٧٨٢هـ/١٣٨٠م)، تفسير تحقيق

(٨٥) جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)،

المنثور في التفسير المأثور، تقديم: عبد الرزاق

المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م،

(ط١)، ج٣، ص٢٢٨.

(٨٦) ينظر: السيوطي، ج٢، ص٥١٤-٥١٥.

(٨٧) الألويسي، مجلد٦، ج٨، ص٣٩٦.

(٨٨) ينظر: الألويسي، مجلد٦، ج٨، ص٥٦٥.

(٨٩) ينظر: ابن منظور، (حسس).

(٩٠) ينظر: ابن منظور، (شعر).

(٩١) ينظر: السابق، (نوق)، (أكل)، (طعم).

(٩٢) ينظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت

٩١١هـ/١٥٠٥م)، بغية اللغويين

، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة

العصرية، بيروت، صيدا، (د. ت)، (د. ط)، ج٢،

ص٢٢٩.

(٩٣) ، ٢٠٢٨/٤ بتصرف.

(٩٤) ديوان شرح أنطوان نعيم، دار

الجيل، بيروت، ١٩٩٥م، (ط١)، ص١٨٦.

(٩٥) مثل نعل موسى احتراماً: ﴿نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِأَلْوَادِ

﴿١٢: طه﴾، ورسالة سليمان لبلقيس

امْتَحَانَاتِنِي أَلْقِي إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ ﴿٢٩: النمل﴾،

والخلخال لدرء مفسد قِضْرَ بِنِ بَارِ جَلْهِنَ لِيَعْلَمَ

يُذْفِنِ مَنْ زَيْنْتِهِنَّ ﴿٣١: النور﴾، والسراويل تعني:

﴿٥٠: إبراهيم﴾.

(٩٦) ينظر: الطبري، البيان، ج٨، ص٤٠٦-٤٠٧.

(٩٧) ينظر: البيهقي، التنزيل ج٣، ص٣٥٧.

(٩٨) ينظر: المقالتان: (الباراسكيولوجي والظواهر العقلية

الخارقة)، الرابط:

<http://www.arabnet5.com/articles.asp?%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%83%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B8%D9%88%D8%A7%D9%87%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D9%82%D8%A9=0&c=2&articleid=6435>

(ونبذة عن الباراسكيولوجي) الرابط:

- عبد الله هيد الكريم محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، (ط١)، ج٢، ص٤١٣.
- (١٠٨) ينظر: القرطبي، ج٩، ص١٢٧.
- (١٠٩) ينظر: السعدي، تيسير الكريم، ص٤٥٩ - ٤٦٠.
- (١١٠) ، ص٥٣٧.
- (١١١) ، (وسس).
- (١١٢) ينظر: قطب، ج٦، ص٤٠١ - ٤٠١١.
- (١١٣) إدوارد تي هول، ، ترجمة لميس فؤاد اليحيى، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٧، (ط١)، ص٢٣٠.
- (١١٤) ص١٨٠.
- (١١٥) ابن منظور، (سوع).
- (١١٦) أبو علي المرزوقي (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م)، حيدر آباد، ١٣٣٢هـ، ج١، ص٧.
- (١١٧) كريم زكي حسام الدين، - لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١، (ط١)، ص٣٤.
- (١١٨) الألويسي، مجلد٦، ج٨، ص٢٩٤.
- (١١٩) ينظر: الألويسي، مجلد٦، ج٨، ص٣٩٩.
- (١٢٠) ابن منظور، (تكأ).
- (١٢١) ينظر: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ج٣، ص٢٣. والألويسي، مجلد٤، ج٦، ص٤١٨.
- (١٢٢) محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٥٧٤هـ/١٣٤٤م)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢م، ج٨، ص٥١. وينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص٤٠.
- (١٢٣) ينظر: الألويسي، ج١، ص٤٦٢.
- (١٢٤) الألويسي، ج١، ص٤٥٤.
- (١٢٥) أبوحيان، البحر المحيط، ج٢، ص١٨٠.
- (١٢٦) ينظر: السابق، نفسه، ج٧، ص٣٤٦ - ٤٥.
- (١٢٧) ج١٠، ص٧٦.
- (١٢٨) الزمخشري، ج٣، ص٣٠٢.
- (١٢٩) أبوحيان، البحر المحيط، ج٧، ص٣٤٧.